أيميسال وتأنيث الكرسي

نزهات في نسوية التاريخ

أيميسال وتأنيث الكرسي

نزهات في نسوية التاريخ

مقداد مسعود

الطبعة الأولى: ٢٠٢١

حقوق الطبع محفوظة: لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء كانت (الكترونية) أو (ميكانيكية) أو بالتصوير، أو بالتسجيل أو بخلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من المؤلف أو الناشر.

All rights reserved, Not part of this publication may be reproduced stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, Electronics, mechanical photocopying, recording of otherwise, without prior permission in writing of the publisher.

(نشر- توزيع) العراق - بصرة

دارالمكتبة الاهلية – نشر – توزيع

العراق – البصرة – البصرة القديمة

المكتبة الأهلية أسست عام 1928 م

جوال: 07703103005

07801391830

mustafaalziyyir@yahoo.com

ان جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

ISBN:

أيميسال وتأنيث الكرسي

نزهات في نسوية التاريخ

مقداد مسعود

تراتبيات

تراتبيات ٥
الإهداء ١١
خطبة الكتاب ١٥
الروايات: تنقذنا من الوعي المطابق ١٧
لا بوصلة للتأريخ ١٩
ق ١: النسوية ٢٥
إلوهية المرأة ٢٧
إيمي – سال ٣٠
إنهيدوأنّا ٣١
طبيعة الأشياء ٣٢
ما يتأرج مِن النبي الخاتم (ص) ٣٣
تأنيث الدين ٣٤
تفوّق الذكر بالقياس إلى الأنثى ٣٥
نظيرة زين الدين ٣٦
ق ٢: أنثوية الفن في مملكة ماري ٣٩
ماري: خزانة وثائق وزارة خارجية في القرن الثامن عشر ق.م ٤٠
الملكات: شيبتو – سمير اميس – زكوتو ٤١
الكادحات في مدينة ماري ٤٢
ماري تؤنث الحجر ٤٣

مملكة أوغاريت: الفن امرأة ٤٥
ق٣: أنثوية العلم..... ٤٨
ق ٤: إيميسال ونقض مركزية المركز ٥٠
تدجين المرأة..... ٥١
ق٥: المرأة في حضارة وادي الرافدين
المرأة الرافدانية: مقياس حضاري..... ٥٣
الحقوق تتصفح التاريخ..... ٥٣
تذكير الخطاب ٥٤
الانقلاب العسكري الأوّل في التأريخ ٥٦
العلاّمة طه باقر ٦٤
طه باقر وإنخيدو أنا: الذهب والحديد..... ٦٦
ق٦: العشيقة ثم الملكة: زكوتو ٦٨
ق ٧: أول قصيدة في العالم:
الشاعرة إنخيدوأنّا: ٢٢٨٥– ٢٢٢٥..... ٧٣
صهيل وصليل ٧٣
طوق التسمية..... ٧٤
١٩٢٢..... ٧٥
الحاضر مفتاح الماضي..... ٧٧
مكافأة لئيمة ٨٠
ق ٨: الحمامة:..... ٨٢
سميراميس ٢٠٦٩ ق.م
بلند الحيدري وسمير اميس ٨٢
يتماهيان: الخيالي والميداني ٨٣

خمسة أيام: تلفيق حكي ٨٥
حصان طروادة: نسخة مزيدة ٨٧
العلاّمة طه باقر وسميراميس ٨٨
ق٩: حتشبسُوت ١٥٠٠ ق.م..... ٩١
ليديا هويت فارمر وأنا..... ٩١
ورطة الباحثة ونفرند هولمز..... ٩٤
ق١٠: الملكات العربيات قبل الإسلام..... ٩٦
حريم لغوي ٩٧
سلاحهن من حرير..... ٩٨
بطش الذكورة..... ٩٩
سطوع ملكات عربيات قبل الإسلام ١٠١
الملكة ماوية.....١٠١
ماوية وزنوبيا ١٠٣
ماوية: الكتلة المتنقلة.....١٠٣
شمال غرب شبه الجزيرة العربية ١٠٥
ملكة حضر موت:.....١٠٧
ملك – حلك: ملكة حضر موت ١٠٧
الملكة زبيبة ١٠٨
الملكة شمسي ١١١
الملك ياتعة (٧١٦- ٧٠٣ ق.م) ١١٣
الكاهنة الملكة تيعلخونو ١١٥
تبوؤة/ عطية.....١١٦
الملكة اللحيانية ١١٧

مع الباحثة العراقية القديرة نبيهة عبود (١٨٩٧- ١٩٨١) ١١٨
الخيزران / شغب / زكوتو ١١٩
ق ١١: ملكة سبأ: بلقيس ١٢١
ملكة وثلاث نظريات ١٢١
مؤثرية الكربون الإشعاعي ١٢٢
فاعلية السمكة ١٢٣
المطلق الأمومي ١٢٤
غزارة التسمية ١٢٥
ملكة سبأ: شخصية إشكالية ١٢٦
الاستقواء بالحقيقة الإيمانية ١٢٧
إنيخدوأنا / بلقيس ١٢٨
قراءة الاقتصادي في الديني ١٢٩
تفنيد مردود ١٣٠
نشأة الأوثان ١٣٠
ق ١٢: نسوة قرطاج ١٣٢
الملكة عليسة ٧٥٩ ق.م ١٣٢
ولي العهد القاتل ١٣٣
الفرار من قرطاجة والتحصن في قبرص ١٣٣
عليسة القرطاجية/ تي الفرعونية ١٣٤
عليسة / تي ١٣٤
صفية ٢٠٢- ٢٢١ ق.م ١٣٦
المشترك الاتصالي بين عليسة وصفية ١٣٧
ق ١٣: ملكات أوغاريت ١٣٩

المحراث: مفتاح مملكة أوغاريت ١٣٩
الملكة الاوغاريتية.....١٤٠
ملكات أوغاريتيات على نهج الملكة زكوتو الآشورية ١٤١
نهر العاصي يصبُ في روما: ملكة من حمص تحكم روما ١٤٢
ق ١٤: زبيداء ملكة تدمر ١٤٥
منفاخ الألقاب ١٤٥
السفح يلي القمة ١٤٦
مرآة جوليا دمنا ١٤٧
كأس كليوباترا ١٤٨
المشطورة: زنوبيا – سبتيما / زبيدة.....١٤٩
أرجوحة الكرسي ١٥١
قروض معرفية.....١٥٢

الإهداء

إلى ابنتي الدكتورة منى

(لأنّ أحدهم إذا أجتهد عند نفسه شبّه المرأة، بالبقرة، والظبية، والحيّة، فإن وصفها بالاعتدال في الخلقة شببها بالقضيب، وشبّه ساقها بالبردية... وقد نعلم أنّ الجارية الفائقة الحُسن أحسنُ من البقرة، وأحسن من الظّبية، وأحسن من كل شيء شُبهت به/ ٤٨- ٤٩)

الجاحظ/ مُفاخرة الجواري والغلمان

(هلا برزت إلى غزالة في الوغى
أم كان قلبك في جناحيّ طائر؟)

في هجاء الحجاج لهروبه من منازلة غزالة الخارجية

(عند عتبات غرفة النوم يترك الرجال ألقابهم وسيوفهم ونياشينهم،أما حين ينزعون سراويلهم فإنهم يتخلون عن قسوتهم وتحفظهم، ويصبحون أكثر أستعداداً للفهم والاستجابة، شرط أن نقول لهم الشيء المناسب، وعلى دفعات تتناسب مع أهتزازات السرير / ص٦٧ عبد الرحمن منيف/

بادية الظلمات / المقبوس: كلام (فريزة خانم) حماة السلطان فنر وهي تخاطب بنتها زوجة السلطان

خطبة الكتاب

لستُ مؤرخا ولا أريد أن أكون.في كتاباتي ليس المناهج الأكاديمية نجم هدايتي، ولا رفقتي من علماء الاجتماع.. أكتبُ هنا بما لديّ من شحنات سردية مشعرنة: بسعة نصف قرن من حراثة الكتب، والترهبن في محاريبها. تعاملي مع التاريخ لا يخلو من التوجس، لا أملك إلاّ ثقةً ضئيلة بالمؤرخين فنسبة الوقائعي مندوفة وممزوجة بمخيلاتهم الآيلة لعقائدهم.المؤرخ هنا يتموضع قلمه في نصية التأريخ، أما الروائي فيشتغل تأريخية النص، يستعيد لحظة تاريخية ويفككها الآن روائيا بمفاتيح الحاضر. لأن (الحاضر هو مفتاح) بشهادة المفكر اللبناني الشهيد مهدي عامل، ومن خلال التفكيك الروائي ينفصل الجمالي عن المؤسسات الخطابية: لذا فإن طمأنينتي تلوذ بمخيلة الإبداع الروائي، فهو يملأ فجوات الحدث التاريخي بسحرية الإبداع. أقول ذلك من خلال قراءاتي المنتجة في الروايات العربية التي استعملت تدوير التاريخ روائيا وأرى أن الروائي أكثر عدلا وإنصافا من المؤرخ، فهو يستعمل الفني والمتخيل من أجل أن يحافظ على مشروعية نقد الأوهام روائيا وبنقدها روائيا يقوم الروائي بتفنيدها دون أي

مساس لجمالية الفعل الروائي ولذاذاته، خصوصا وأن الحكومات العربية اجترحت ونفذت اجتراحاتها في تمويت الواقع.

الروايات: تنقذنا من الوعي المطابق

أغوتني هذه الروايات التي صيرّت التأريخ فضائها، وها أنا أحاول هنا الاستفادة بِلا قصديةٍ واخزة، بل بعفوية تشربتها تجربتي.

من تقنيتها في التقافز بين الأزمنة والشخوص، وكذلك هنا الحرية لا نجدها في وعي المؤلف لنصه، بل في لاوعي شخصيات الرواية للأحداث والمواقف والأفكار ،كما فعلها فؤاد التكرلي في (الرجع البعيد).. وشاكر نوري في روايتيه (خاتون بغداد) و(طائر القشلة) وجمانة حداد في (بنت الخياطة) وسميحة خريس في روايتيها (فستق عبيد) و(بابنوس) وبلقيس خالد في (كائنات البن) و(صلوات على نهر دجلة) فوزية الدريع و(النبيذة) لأنعام كجه جي، وعبد الكريم العبيدي في (قصة عرش العراق) و(معلقة بلوشي) وإلهام عبد الكريم في رواية (نساء).. ضياء الخالدي في(١٩٥٨).. أحمد ولد الفال في روايته (الحدقي).. (منازل ح ١٧) رغد السهيل (الظهور الثاني لابن لعبون) إسماعيل فهد إسماعيل.. (أرض السواد) عبد الرحمن منيف.. وغيرها من الروايات. هذه الروايات: مؤثريتها الكبرى ليست

اكتشاف الحقيقة. هذه الروايات مسؤوليتها العظمى: تحقيق سعادة القارئ أثناء القراءة. أليست السعادة تمنحك نسيان الزمان والمكان. الزمان الذي تلهث فيه وتتأرق وتغبن. والمكان الذي صار حيزا لا يسع إلاّ شخصا يخطو بشكل جانبي وقبالة وجهه جدار من الإسمنت فالإنسان ما يزال منذ أن أعلنها هيغل (لن يكون الوعي المطابق للواقع سوى وعي شقي) وخلاصة القول: لم استطع الكتابة عن لحظات تاريخية بغير هذه الطريقة التي أراها توائم حساسيتي الأدبية، فنحن مأزومون لا فكرياً فقط فذلك أعلنه المثقف العضوي الكبير محمود أمين في أوائل سبعينات القرن الماضي في كتابه الدامغ (ماركيوز فلسفة الطريق المسدود) الآن نكابد أزمتين هما: أزمة الفكر وأزمة الخيال وبشهادة المفكر الإسلامي التنويري الكبير الدكتور حسن حنفي.. (والأزمة العربية الحالية أزمة خيال كما هي أزمة فكر. والتوقف العربي الحالي عن إيجاد البدائل هي أزمة خيال قبل أن تكون أزمة إرادة وعجز/ ٤٣٩/ حسن حنفي/ الواقع العربي الراهن/ دار العين للنشر/ ط١/ القاهرة/٢٠١٢) ويمكن العودة إلى مقالتي في الحوار المتمدن (التخيل اللاهوتي/ قراءة مجاورة في(الخيال السياسي للإسلاميين ما قبل الدولة) للباحثة والمترجمة الدكتورة هبة عزت رؤوف.

لا بوصلة للتأريخ

ليس للتاريخ سكك حديد حتى يطلق قطاراته عليها، ومن جهة أخرى لم ألجم التداعي الجواني في هذا السياق وأنا أنبشُ في مناجم التاريخ التي أوصلتني منذ سنوات ضوئية إلى صحارى ومرتفعات تئن من الخوازيق والصلبان المنصوبة على ظهور الجمال والنساء المغتصبات بين القتلى والمتداولات كالعملة بين النخاسين، لا يمكن أن تتأمل الأهرامات ولا تصغي لأنين آلاف وآلاف والاف من العاملين في بنائها.. كيف نتذوق جماليات الجنائن المعلقة ولا توخز روحك أوجاع الكادحين..أليس العجائب السبع هي الجرائم السبع بحق الجسد الإنساني المكره على العمل حد الموت؟ ما الفرق بين كادحي الإهرام والجنائن وكادحي الزنج في سباخ البصرة؟ لكن للزنج فضيلتهم الثورية بقيادة صاحب الزنج محمد بن علي وأوّل من قيّم هذه الثورية كتابةً في القرن العشرين هو العراقي ابن البصرة الدكتور فيصل السامر. قيّمها قصصيا القاص جليل القيسى في قصةٍ من قصص (زليخا.. البعد يقترب) الصادرة منتصف سبعينات القرن الماضي. أي حروب وأي انتصارات وفي الطرفين الضحايا هم مَن لا يملك حولا ولا قوةً ، وتنتهي أحلام القادة العسكريين حين يهزمون عند القرفصاء في أقفاص الحيوانات!.! وأفضل من تناول نهايات الملوك الشاعر الكبير محمود البريكان في قصيدة قصيرة عميقة:

الملوك

محمود البريكان

وجوههم مؤطّرة في لوحات المتاحف
وأسماؤهم مسطّرة في كتب التواريخ
وسيّرهم تتحول إلى قصص مسلية
تركوا للخدم ثياب نومهم وأحذيتهم المنزلية
وطرحوا تيجانهم للمتنافسين على الملك
وخلفوا ثرواتهم لورثة عاطلين
أمّا لحوم أجسادهم
فهي حصة دود الأرض

١٩٩٧/ مجلة الأقلام

(*)

ثمة شخصيات اغترفتُ القليل من سيرتها وطريقتي في التناول لا تخضع للبدء والختام.فليس ضمن إجراءاتي سرد السيّر التاريخية، فذلك جنس أدبي متوفر بمهارةٍ لدى سواي.

(*)

الكتابة هنا: محاولة في قراءات منتخبة للحظات تاريخية. تحاور القارئ وتفتح شهية ذاكرته لمحاورة كتابتي وتتميمها.

(*)

محاولتي تتأرج من قروضٍ غزيرةٍ مغترفةٍ من مكتبات كدحتْ الأقلام فيها وأثمر كدحهن/ كدحهم بالنافع الضروري والجميل المضيء. من صفحات التأريخ الدامي والباهض والمحتدم، ولم تخلُ هذه الصفحات من استراحة المحارب وظهور هواء لم يستعمل يصلح للرقص والغناء إنصافا للمرأة.. التي يوصينا الشاعر الهندي العظيم طاغور: (لا تضرب المرأة ولو بوردة).

(*)

للأسف صيّرنا تاريخنا هو اليومي في حياتنا، واستعملنا كل ما في حيازتنا من خبرات لتنشيط الخلايا النائمة في تاريخنا، لكن يجب أن لا ننكر أن ثمة كوكبة معرفية استضاءت وأضاءت اللحظات المعطرّة من تاريخنا العربي والإسلامي منهم: محمد عابد الجابري. جورج طرابيشي. حسين مروّة. حسين قاسم العزيز. فيصل السامر. نصر حامد أبو زيد. عواطف شنقارو، أم الزين بنشيخة.علي مبروك. يوسف زيدان.علي زيعور، أحمد علبي، عبد الفتّاح عليان **لكن** هذه الكوكبة، أحيانا تغمرها مضادات السيل الإعلامي والكتابات الفورية للحظات التطاحن بين الملل والنحل.. وهذه الكوكبة تكابد كثيراً وهي تتصدى لتاريخ طويل تفننت فيها الحكومات والكهنوت ومشتقاتهما في تصنيع (فنون من غسيل

الدماغ للسيطرة على رعاياهم لآلاف السنين ومن المهم أن نتأمل إلى أي مدى كان ذلك براجماتياً وبأي قدر استند إلى الخبرة الواعية../٤٨/ دوريس لسنج/ سجون نختار أن نحيا فيها/ ترجمة سهير صبري).

(*)

لماذا هذا الكتاب يتضوع بحضورهن؟ أولا هذا الكتاب محبرته من روحي وقلبي للأسبا ب التالية: نشأت في بيتٍ للمرأة فيه مكانة عالية وعريقة حدثنا عن هذه المكانة والدي مراتٍ عديدةً ، كلما أصيبت امرأة في عائلتنا الكبيرة بظلم من زوجها أو أخوتها: هاهو صوت والدي ينفض ترابه ويغمرني: قبل أن يتوفى جدي: وزع ثروته بالتساوي بين الذكور والأناث ولم يعلن أحدهم اعترضا أو تمرداً. وكانت ذرية جدي غزيرةً وفحولته كرّسها لزوجة واحدة لم يتزوج سواها وحين ماتت: ذوى ثم نام بعد ستة شهورٍ جوارها. هذه المكانة النسوية الخاصة كانت تتوارثها العائلة لله الحمد. وفي مكتبات العائلة ثمة رفوف نضيدها سيّر النساء ماري أنطوانيت، جوزين، شجرة الدر والملكة بلقيس والملكة أروى وكيلوباترا وزنوبيا وعشتار والأميرة ذات الهمة ونسخ متعددة من ألف ليلة وليلة..

(*)

بالنسبة لي أنا كاتب هذه السطور أول كتاب نسوي قرأته بحب، كان هدية من شقيقي الأكبر، عنوان الكتاب (الجنس الآخر) سيمون دي بوفوار. كنت في الثاني المتوسط وكان مدرس التاريخ منقولا/ معاقبا، تم نقله من الرمادي إلى البصرة بسبب يساريته، ومنه سمعتُ لأول مرة أسماء الملكات العربيات قبل الإسلام (شمسي) و(زبيبي) (عليسة) (صفية)(زنوبيا) وكان مدرسنا يجيد اللغة الانكليزية ويجلب لنا بعض الكتب التي تتناول الملكات العربيات قبل الإسلام.. قبل سنوات ضمن مشغلي في الكتابة النسوية استحضرت ذاكرتي استاذنا الذي اختفى مع احداث ١٩٧٩ في العراق فنبشت المواقع الثقافية وسحبت كل ما ينفعني في هذا المجال. والسؤال الضروري هو كيف ظهرت تاء التأنيث الفاعلة وتسيدت وتسنمت أعلى سلطة في عصر تسيدت فيها الذكورة بشكل مطلق!! ومَن ساند هذه الملكات في حكمهن وماهي المصدات الذكورية التي تغلبت عليها النساء الحاكمات، فعرفت من خلال (ملكات العرب في الألف الأول قبل الفترة المعاصر) وهذا عنوان مبحث من انتاج الباحثة الدكتورة هتون أجواد، في مجلة الخليج للتأريخ والآثار) العدد السابع ٢٠١٢، من خلال هذا البحث تعرفت إلى عنوانين هامين في هذا المشغل النسوي، الأول دراسة نابيا أبوت الشهيرة (ملكات العرب) في ١٩٤١ والعنوان

الثاني هو (الملكات العربيات قبل الإسلام) من انتاج الباحثة هند بنت محمد التركي.. وترى الباحثة هتون أجواد. أن الأولوية لمبحث نابيا أبوت (فأن كل ما تلا أبوت يقف عالة عليها./ ص١٣

(*)

سعيتُ بقدراتي الشخصية، وما أوهنها، لتدوير سرود ما اقترضتهُ من المراجع والمصادر وتخفيف جهامته الأكاديمية وحاولتُ جعله يتساوق مع إمكانياتي البسيطة في شعرنته.

البصرة / كانون الثاني/ ٢٠٢١

ق ا: النسوية

هل النسوية ترفٌ لا يتاح لمعظم النساء؟ هل هناك جذور في الأحفوريات تؤكد أن النسوية ليست موضة مِن موضات الحداثة؟ وإلى أين وصلت النسوية بمسعاها؟ وهل أصيبت هذه النسوية بالغلو؟ ومن المتسبب في تخليق/ تصنيع هذه النسوية؟ هل تناسلت النسوية مِن يوتوبيا نسوية؟

(*)

اللغة من أقوى الأسلحة في حيازة الرجل، ومن خلالها يعزز حضوراته هو ليقصي دور المرأة ثم يتفضل عليها بحيزٍ وحين نتمعن بهذا الحيز فإن منافعه تعود للرجل أكثر مما تعود للمرأة

وبشهادة الناقدة الخليجية ظبية خميس (.. يحاول أن يرفّه عن الذكورة أكثر مما يوقظها على المعاني والأحاسيس العميقة التي تعبّر عن الذات الأنثوية خارج مرآة الدور الاجتماعي الترفيهي../ ٨/ ظبية خميس / الذات الأنثوية/ دار المدى/ ١٩٩٧).. على ذمة علماء الإنثروبولوجيا والتاريخ والاجتماع: كانت المرأة هي أولاً وهذه الأولوية ليست غيبية، بل ميدانية فالمرأة آنذاك لم تذهب للنزهة، بل هي تأملت وتمهلت وقادتها قدماها نحو البرية. مكثت

تتأمل الشعر الأخضر على الأرض، ثم تقوست على الشجيرات لامستها بشفطة من منخريها، ثم مشطت الفروات الخضر بأناملها.. وهكذا تكشفت لها الزراعة فكاشفتها المرأة بعوزها فمنحتها الأرض صفاتها وتماهيت الأرض والمرأة. فتقرب الحيوان من المرأة فلم ترجمه بحجر وصار كل يوم يقترب ويقترب حتى احتضنت المرأة الحيوانات وصادقتها.. وانتقلت المرأة من النيئ إلى المطبوخ فقد عرفت كيف تقدح النار وكيف تكون تهيئة أكلةٍ لها ولصغارها وخجلت من عريها فغزلت الملابس من شجرة الصوف، والمغزل علمها الحياكة وصناعة السلال والزنابيل وفي النار راحت تشوي الطين خزفاً وصار الرجل موضوعا لذاتها فدجنته برضاه ومازال للآن ٢٠٢١ وإلى ما بعد الآن في رعايتها وحين أفرغ الرجل قوته بما علمته أنثاه، كان أمهر من المرأة في تدوير المحراث فالمرأة إما مرضعة أو حامل أو منشغلة بضرورات البيت..

إذن فهي الخصب والنماء وأسباب الحياة، منها وعليها وحدها ضمان القوت اليومي والأمان ومنها انبثقت الفنون المنزلية البدائية والاقتصاد المنزلي العفوي وهي التي دجنت الوحش في إنكيدو وليس صديقه جلجامش..

إلوهية المرأة

من هذه المنصة الواقعية انطلق تقديس المرأة فهي صنو الطبيعة في العطاء الثر والتحولات الفيزيولوجية تتقارب مع الفصول الأربعة، ونقترض من منتج (الغصن الذهبي) جيمس فريزر ونكرر قوله (الشبيه ينتج شبيهه أو المعول ينتج علته) من هذه الصفات الحميمة انبثقت قيادة المرأة لمجتمعها وليس من خشونة الرجل الصيّاد.. في مدينة ماري في القرنين الأول والثاني قبل الميلاد يوجد أربعة معابد ثلاثة منها تخص الربات:

(١) معبد الألهة عشتار: تم اكتشافه عام ١٩٣٤ وهذا المعبد تميز بسعته التي تليق بمكانة عشتار إلهة الحب والخصب والحرب وتتضح أهمية عشتار لدى شعب ماري من خلال الأسماء التي يحملها الأموريين، تتضمن اسم الربة الكبرى: بونو عشتار، بوروز عشتار، أبلوم عشتار، عيشار، عشتروت.

(٢) معبد الإلهة نينهور ساغ: هذه الإلهة هي رب الجبل، وتعتبر زوجة رب الأرض (أنليل) ومعبدها يختص بالأم الحامية للأطفال.

(٣) معبد الربة نيني زازا: ويخص هذا المعبد الإلهة عشتار المحبوبة/ ٩٦/ علي القيّم.

(*)

سؤالي هو: كل هذه المركزية اللينة، للمرأة كيف تراجعت؟ ربما يعنني فريدريك إنجلس في كتابه القيّم (أصل العائلة

والملكية الخاصة والدولة)... نتوقف عند الصفحة الستين ونلتقط المقبوس التالي وأنجلس يحدثنا عن المرحلة المشاعية في تاريخ البشرية: إن الاقتصاد البيتي الشيوعي الذي كانت فيه جميع النساء أو أغلبهن ينتمين إلى العشيرة نفسها، بينما الرجال ينتمون إلى عشائر مختلفة، هو الأساس الفعلي لتلك الهيمنة التي كانت تتمتع بها المرأة في الأزمنة البدائية في كل مكان، ويضيف فريدريك إنجلس: أن الشعوب التي يجب أن تشتغل النساء أكثر بكثير مما يرتب عليهن حسب تصوراتنا، تبدي في غالب الأحيان من الاحترام الحقيقي للنساء، أكثر بكثير مما يبديه أوربيونا، فإن (سيدة) عصر الحضارة، المحاطة بالتقدير والإجلال الظاهريين، والغريبة عن كل عمل حقيقي، تشغل وضعاً اجتماعيا أدنى إلى ما لا حد له، من وضع المرأة في عصر البربرية التي كانت تقوم بعمل مرهق، والتي كانت تعتبر بنظر شعبها سيدة حقيقية والتي كانت كذلك حقا وفعلاً بحكم وضعها.. مِن جهة ثانية أن المرأة وليس الرجل هي مَن تصاب بالحساسية الجديدة حين حدوث المتغير. لنقل بالغيرة النسوية، انتقل المجتمع من الحمل الأثيم إلى الزواج الأحادي.. فالنساء لاحظن أن العلاقات المتوارثة بين الجنسين وبسبب الجديد في الظروف الاقتصادية: صارت ممسوخة وفقدت الطابع البدائي الساذج، ربما بسبب زيادة السكان أو العنصر الذكوري الوافد: كل هذه المتغيرات كانت ذات حمولة

مثقلة بالذل والإرهاق. فصار خلاصهن من خلال تجاربهن المريرة رأينا في العفة خلاصهن ومن خلال العفاف يكون الزواج الدائم أو المؤقت من رجل واحد فقط. هكذا تفكير لا تجترحه إلاّ كرامة المرأة. أعني أن هذا الزواج الأحادي ليس من فضائل الذكور. وظهرت هذه العائلة الجديدة (على التخوم بين الوحشية والبربرية، وظهرت في الأغلب في الطور الأعلى من الوحشية/ ٧٢/ أنجلس/ أصل العائلة) وهنا يضيف كارل ماركس مفككا قبل جاك ديريدا: اللحظة التي كان يعيشها ماركس فيقول (إن العائلة العصرية لا تنطوي على جنين العبودية وحسب، بل على جنين القنانة، لأنها مقرونة منذ بادئ بدء بفروض خدمات الزراعة، وهي تنطوي بشكل مصغر على جميع التناقضات التي تطورت فيما بعد على نطاق واسع في المجتمع وفي دولته).

يبدو أن قبل مصادرة المرأة لغويا، صادرها/ صدرّها الرجل للتبادل البضائعي وبشهادة إمام علم الأناسة كلود ليفي شتراس: إن تبادل النساء في المجتمعات القبلية كان السبب الرئيس في خضوعهن.. وبسبب هذا الاستنتاج النشوئي جوهرياً. جعل التحكم بالسكان: السيطرة على جنسانية الأنثى إلزامية/ ليرنر/ نقلا عن ميادة كيالي/

إيمي – سال

شخصيا من خلال قراءاتي للحضارات الرافدانية، لدي ميل عميق نحو الحضارة السومرية، مقارنة بالعنف العسكري الاجتياحي في حضارة آشور. أشعر بتقزز من الحملات العسكرية الآشورية فأنا من جيل شارك بثلاث حروب اجتياح وأصبتُ وسجنت بسبب هذه الحروب اللعينة. أما الحضارة السومرية فهي الفرصة الذهبية كما يبدو التي: وهبت نساء سومر خصيصة الولع بالكتابة، وإذا كان التعليم لدينا محارَب ومحرم في أوائل القرن العشرين، فالسومريات ينافسن الذكور السومريين في التعلم وكانت الفرص متوفرة لهن وهكذا أصبحن كاتبات ذوات شأن ثم صارت المرأة السومرية في سلك التعليم. ويبدو أن الدنيا كانت بخير عميم رغم أن أجور التعليم وتكاليفها ليست بسيطة. وبالطبع ستكون الفرص أكثر نصيبا لبنات الدخل العالي آنذاك.. من هذه المنصة الثقافية الراقية انبثقت لهجة أساسية من لهجات الحضارة السومرية، يطلقون عليها **إيميسال:** لغة نسوية تتميز عن الشكل الشائع، ولها تداوليتها النسوية وتراها نساء سومر اللغة المناسبة والمعبرة عن ما يفكرن به ومن اللغوية الأنثوية النسوية إيميسال تسايلت الملاحم والصلوات وبعض التراتيل. ولم يبخلن بلغتهن على الغير فكانت هي لغة النساء والإلهات وكذلك كلام عبيدهن المخصيين../٣٩/ ميادة كيّالي/ مكانة المرأة في بلاد الرافدين

وعصور ما قبل التاريخ/ مؤمنون بلا حدود/ الدراسات والأبحاث ٢٠١٦.

إنـهيدوأنّا

أكتبُ إنهيدوأنّا عندما، أغترف من ترجمة الباحث العراقي كامل جابر لكتاب (صلوات إنهيدوانا) للباحثة بتي دي شونك..

ننقل الكلام التالي من الباحثة السورية ميّادة كيّالي بعد أن أخبرتنا عن الرخاء الثقافي النسوي في بلاد سومر (وهيأت هذه الظروف لظهور إنخيدوأنّا أوّل شاعرة وواحدة من أعظم الشاعرات في التاريخ وواحدة من أعظم شاعرات العالم القديم، وقد تولت هذه الكاتبة أرفع منصب في الإمبراطورية وهو الكاهنة العليا للإله سن في أور) إنهيدوانا هي ابنة الملك سرجون الأكدي وهي الابنة الوحيدة بين أطفال خمسة. ويظن بعض الباحثين أن إنهيدوانا سومرية وذلك لأنها تعلمت اللغة السومرية بسهولة. سرجون الأكدي وهو في طريقه لتوحيد الدويلات هزم القائد السومري لوكالزاكيس الذي كان ينهب جميع الأمكنة المقدسة في لكش ثم يحرقها. لذا رحب السومريون بالملك سرجون الأكدي.. لكن بعد وفاة سرجون وبعد مرور أربعين عاما: ستكابد أول شاعرة في العالم والكاهنة الكبرى لمعبد نانا وهكذا تعيش إنهيدوانا مصيرا شرسا حيث يطاردها السومريون.

طبيعة الأشياء

أقتطف هذه الوحدة السردية الصغرى من كتاب تمت ترجمته في العام ٢٠٠٠ (المجتمع الإنساني معقد وغير مستقر، وهذا ما يجعل الحياة فيه تثير الاهتمام والغضب والتفاؤل. إنه مجتمع خلقه الذكور ويديرونه، وهو أمر لا ترضي عنه معظم النساء وبعض الرجال/٩٧/ ن.ج. بيريل/ الجنس وطبيعة الأشياء/ ترجمة نور الدين بهلول/ دار الكلمة للنشر/ دمشق/ ط١/ ٢٠٠) في هذه الوحدة السردية وجيز تاريخ البشري، لكن ثمة فعل أحدث صدمة تلقي لدي وسأبرزه للقارئ (**خلقه الذكور**) الذكور لم يخلقوه بل اختطفوه من الإناث وشتان بين الخلق والخطف.. هم خطفوا السيادة من المرأة وأقصوها. المجتمع كان مخلوقا نسويا كانت المرأة تدير المجتمع. وبتوقيت ظهور الزراعة انقلبت الموازين.. الآن ونحن في بداية العشرة الثالثة من الألفية الثالثة (انتشرت مفاهيم مثل (الذكورة السامة) ودخول النساء لمجالات كانت حكراً على الرجل والنتائج التي تشير إلى تأخر الذكور الدراسي بالنسبة إلى الإناث.. بالتأكيد لا يعني ذلك بأن الرجل أصبح أقل قيمة، أو أنه لم يعد رجلاً حقيقيا../ ٥٦/ هل عفا الزمن على الرجال/ مناظرة رباعية).. لكن رغم ذلك فلا سيادة مطلقة أو حتى منافسة للجندر في مساحات واسعة من المجتمع الدولي.. والدليل على ذلك في الحروب والنزاعات الإقليمية.. فالطرف المهزوم في

الحرب تصبح لديه قبل أن تصبح لدى أعداءه الهزيمة أنثى والنصر ذكراً (فالنساء يشكلن الأجساد التي تكتب عليها قصة العنف المميز للجندر، فتخيلات الحرب تقسم إلى ذكرية وأنثوية. الهزيمة: على سبيل المثال، مساوية للأنثوية، والانتصار مساوٍ للذكورة../ ١٤٢/ روبينا سايغول/ العسكرة والأمة والجندر: جسد المرأة كميدان للصراع العنيف/ من كتاب(المرأة والجنسانية في المجتمعات الإسلامية) نلاحظ هنا أن عمى الألوان لدى الذكورة: يجعل الذكورة لا تفرق بين جنسانيتيّ: التأنيث والتخنيث.

ما يتأرج مِن النبي الخاتم (ص)

ثمة رواج في المحافل التقنية على إجناسية العلم؟ تحت يافطة (العلم ذكر لا يحبهُ إلاّ الذكران) وماذا نقول عن أوّل محامية في العراق (صبيحة الشيخ داود) وأوّل وزيرة بالعراق (نزيهة الدليمي) وماذا نطلق على عبقرية المعمارية العظيمة زهاء حديد؟

والمناضلات العراقيات اللواتي استشهدن أثناء التعذيب أو قُتلن بسب تصنيفهن ناشطات سياسيات؟ والفقه الذي تحمله المتصوفة الكبيرة رابعة العدوية؟ وأخت الحلاج القتيل؟ من هنا نردد بصوت عال للمرأة شرف التأنيث ولتاء التأنيث مهابتها وجمالياتها وأزكى العطور وكيف لا وقد خالف النبي النسق اللغوي العربي المستقر حين قال: (حُبّبَ إليّ من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وجعلت قرة

عيني في الصلاة).

تأنيث الدين

هنا نستعين بما يقوله الأستاذ رحال بوبريك (وقف ابن عربي على أهمية تاء التأنيث في هذا الحديث النبوي. فإضافة إلى تسبيق النساء على الطيب والصلاة، فإن النبي استعمل عبارة (ثلاث) بصيغة المؤنث رغم أن عادة العرب تغليب التذكير على التأنيث وإن كن جماعة. لكننا نجد النبي (ص) في هذا الحديث غلب التأنيث على التذكير بقوله ثلاث بغير هاء. فما أعلمه صلى الله عليه وسلّم بالحقائق، وما أشد رعيته للحقوق!.. فبدأ بالنساء وختم بالصلاة وكلتاهما تأنيث والطيب بينهما كهوفي وجوده، فإن الرجل كمدرج بين ذات ظهر عنها وبين امرأة ظهرت عنه، فهو بين مؤنثين: تأنيث ذات وتأنيث حقيقة.. وإن شئت قلت الصفة مؤنثة أيضا، وإن شئت قلت القدرة فمؤنثة أيضا. فكن على أي مذهب شئت، فإنك لا تجد إلا التأنيث يتقدم حتى عند أصحاب العلة الذين جعلوا الحق علة في وجود العدم. والتأنيث هنا ليس أمراً لفظياً بل دلالة معنوية في العرفان الصوفي../ ١١١/ بركة النساء/ الدين بصيغة مؤنث) من كل هذا نتفهم أن اللغة بحد ذاتها ليست بنية مجردة ولا محايدة. بل لها دورها الانحيازي..

تفوّق الذكر بالقياس إلى الأنثى

في القرن الرابع الهجري لم يكن هذا الكلام الكريم الذي يجسده الرسول الأعظم في حديثه للأسف قدوة للنحاة وإليكم عينة / بينة على ما نقول تتجسد في الفكر اللغوي لدى ابن الأنباري وهو يقول (اعلم أن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا،غلب المذكر على المؤنث، تقول من ذلك: الرجل والمرأة قاما، وقعدا وجلسا، ولا يجوز: قامتا، وقعدتا، وجلستا، لأن المذكر يغلب المؤنث، لأنه هو الأصل والمؤنث مزيد عليه..) ويواصل ابن الأنباري ذكورته اللغوية في قوله (في تعليل لم قالت العرب رجل بالغ وامرأة بالغ، ورجل سافر وامرأة سافر، ورجل عاشق وامرأة عاشق: إن: بالغاَ وسافراً وعاشقاً نعوت مذكرة وصف بهن الإناث فلم يؤنثن، إذ كان أصلهن التذكير. والدليل على أن أصلهن التذكير أن الرجال يوصفون بهذه الأوصاف أكثر مما يوصف بها النساء.../٢٣/ زليخة أبو ريشة / اللغة الغائبة / نحو لغة غير جنسوية).. نلاحظ أن ابن الأنباري يستقوي بالمجتمعي السائد آنذاك ليبرر ما يجري في اللغة وفي المجتمع الإسلامي كان هناك مسلمة اليهود الذين أشاعوا الإسرائيليات بين الناس، وهنا نستعين بما قبسته الباحثة أبو ريشة من كلام المفكر السلفي سيد قطب في كتابه الشهير في ظلال القرآن: (كل الروايات التي جاء عن خلقها من ضلعه مشوبةٌ بالإسرائيليات لا نملك أن نعتمد عليها، والذي يمكن الجزم

بـه هـو فحسـب أن الله خلـق لـه زوجـاً مـن جنسـه فصـاروا اثنـين، والسنة التي نعلمها عن كل خلق الله هي الزوجية..)..

نظيرة زين الدين

قبل ذلك ارتفع صوت نسوي رزين وتحديدا في ١٩٢٩ صوت أعلـن بوضـوح تـام هـو صـوت نظيـرة زيـن الـدين الفتـاة اللبنانيـة المولـودة فـي إسـطنبول فـي العـام (١٩٠٩- ١٩٧٦) خريجـة الجامعـة الأمريكيـة التـي اشـتغلت فـي الصـحافة وكرّسـت قلمهـا للدفاع عن حقوق النساء، الجريئة في قولها لا ضمن حقبتها بل حتى هذه اللحظة الفاتكة بسبب التشدد الأصولي والأكثر تطرفاً من خلال غزو البلاد العربية بذرائع دينية (إن الشرائع السماوية لا تقيّدنا تقييدا ثابتاً إلاّ في علاقاتنا مع خالقنا سبحانه وتعالى،ذلك فـي أصـول الـدين والإيمـان، وأمـا أمـور دنيانا،وقواعـد حياتنـا، والمعاملات والعلاقات بيننا فهي تابعة بمقتضى تلكم الشرائع لحكم العقل، ومتحوّلـة بمقتضـى المصـلحة والزمـان/ مـن كتابهـا الفتـاة والشـيوخ).. يبـدو أن الكونفورميـا أمـض فـي التـأثير مـن العقائـد والأديـان السـماوية فهـذه الكونفورميـا بشـموليتها كعامـل وكظـاهرة حاضرة بوضوح في عملية بناء السلوك الاجتماعي، وبشـهادة عالم الاجتمـاع الشـهير أميـل دوركهـايم أن الكونفورميـا مصـطلح (روح الجماعـة) ليـدلل بـه علـى مجموعـة الظـواهر الاجتماعيـة (الفكريـة

والروحية) التي تؤثر بسلوك الفرد والمبادئ السائدة في المجتمع منها:

المنظم الحقوقي

الموّجه القيمي

الضابط الديني

لذا يكوّن لهذا النسق الثلاثي سطوته المطلقة على السلوك الفردي، لكن هذا لا يعني أن السلوك الفردي سيكون ملجوما بهذه القيود. فهو سيحرر نفسه منها. ويكون ملتزما بها في العلن ولن ينصر المختلف لا في الخفاء ولا في العلن.. حين يكون الحال هكذا تكون الكمامات على العيون لا تحتها لكن هناك من يصر على إيقاظ الأحياء الموتى من ميتاتهم في الحياة، كما فعلها بُعيد صرخة نظيرة زين الدين، المفكر التونسي الطاهر الحدّاد وهو خريج الجامعة الزيتونية في كتابه (امرأتنا في الشريعة والمجتمع).. (لقد حكم الإسلام في آيات القرآن بتمييز الرجل عن المرأة في مواضع صريحة. وليس هذا يمانع أن يقبل بمبدأ المساواة الاجتماعية بينهما عند توفّر أسبابها بتطور الزمن مادام يرمي في جوهره إلى العدالة التامة وروح الحق الأعلى، وهو الدّين الذي يدين بسّنة التدرج في تشريع أحكامه حسب الطوق../ ١١٧/ رجاء بن سلامة/ نقد الثوابت)..

كل هذه المحاولات التوضيحية للشريعة الإسلامية، وعامة

وبالنسبة لهذه الفئة التنويرية من المسلمين، لا تدعي في حيازتها الملكية المطلقة للعلم.. وهؤلاء التنويريون منشغلون في إنتاج المعنى في هذه الآية وتلك الآية، لذا فهم متحلقون حول (طبيعة الأداء اللغوي للخطاب القرآني التي تجعل منه ساحة للإضمار والإجمال، والإطلاق والإيماء والتضمين والتخصيص والتعميم../ ٣٣/ علي مبروك أفكار مؤثمة).. أما الكافة فهم منشغلون بأسباب الحياة ويغترفون من المعرفيات ما هو سائد ومؤتلف حرصا على طمأنينتهم ومستقبلها المضمون وهكذا تكون الكافة من منتوجات الثقافة الذكورية المتسيدة والمخضعة للنساء ولمن يناصرهن.. من هنا فإن النسوية لا تتوقف عن الدعوة النظرية للتغيير الفكري وأساليب البحث والمسطور. إن النسوية منشغلة بتفكيك الخطاب الأبوي الخاص والأبوية السلطوية على كافة الأصعدة وهكذا نرى أن النسوية ترفض منطق التبدل وتسعى نحو التطور والتجاوز لما يجري من تعنيف وتعسيف المرأة.

ق ٢: أنثوية الفن في مملكة ماري

في آب من سنة ١٩٣٢ وهم يحفرون قبراً سيعثر البدو على أجزاء من تمثال كبير في منطقة ماري – تل الحريري على بعد ١٠ كم إلى الشمال الغربي من بلدة البو كمال.. في كانون الأول من نفس السنة، سيبذل جهدا أحفوريا عالم الآثار الفرنسي آندرية باور. وسيقوم فريق من العلماء من تحديد الموقع ومطابقته مع موقع معروف في نصوص بلاد ما بين النهرين، وكانت النتيجة أن العالم باور وبقية العلماء في ضيافة المدينة المبجلة ماري وهي عاصمة مملكة عظيمة يعود تاريخها إلى عصر السلالات الملكية الأولى. حوالي الألف الثالث قبل الميلاد، وقد استمرت آثارها حتى العصر السلوقي (٣١٨– ٦٤ ق.م) ومنذ ذلك التاريخ،تم الكشف عن أقسام كبيرة من هذه المدينة العظيمة أبعادها حوالي ستة آلاف من الأمتار المربعة. حصيلت التقيب هي أنثوية الفن في هذه المدينة.. والكنوز الفنية الأنثوية شكلت مكتبة أختصاصية تعين الباحث على كيفة التلقي لحضارة الأموريين العريقة بشكل خاص وحضارات العالم القديم بشكل عام في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد / بشهادة الباحث والمفكّر علي القيّم في كتابه (المرأة في

حضارة بلاد الشام القديمة/ ط٢/ الأهالي / دمشق/ ١٩٩٧)
(*)

ماري: خزانة وثائق وزارة خارجية في القرن الثامن عشر ق.م

من فضائل الحفريات، تكشفّت للعلماء أن مدينة ماري: عاصمة عربية كبيرة وذات حضارة عظيمة وعريقة ومكتبتها غنية بالرقم الطينية المدونة بالخط المسمارية ويبلغ عدد الرقم بين(٢٠ إلى ٢٥) ألف رقيم. والمنشور من هذه الرقم من خلال جورج دوسان يزيد عن خمسة عشر مجلدا: وهذه الخطوة الأولى في النشر ويرى الدكتور اندرية باور: (أن هذه الرقم الغزيرة تليق بوزارة خارجية..).

ومن يطلع على هذه الرقم ستنشط لديه مخيلته بسعة شاشة سينما وسيرى مالا يتوقعه تاريخيا (أن بعض الرجال الذين كان من المعتقد أنهم متباعدون في الزمن بعشرات من السنين،تبين أنهم في الواقع معاصرون،مثل حمورابي البابلي وشمشي – حدد الآشوري. إذا أدت سجلات ماري إلى تصحيح تأريخ الألف الثاني قبل الميلاد../ ٩٠/ علي القيّم/ المرأة في حضارة بلاد الشام القديمة).

الملكات: شيبتو – سمير اميس – زكوتو

في هذه الثروة الرقمية الطينية هناك كنز نسوي دفين دفيء يتأرج السرديات الصغيرة مثل الرسائل العائلية أو السرية وما يشبه ذلك.. منها رسائل الملكة (شيبتو) بنت ملك حلب إلى زوجها. ومن خلال هذه الرسائل وهي غزيرة ندرك أهمية المرأة في الساهمة الفاعلة في إدارة السلطة آنذاك..وعلى الدور الذي كانت تلعبه الملكة في مملكة ماري، فهي المسؤولى الأولى عن آليات توعية المرأة وتدريبها(تختار من الصبايا،من تراها جديرة بتعلم العزف على الآلات الموسيقية، والبعض الآخر، ليتعلمن النسج والتطريز، وكانت تولي أهتماماً بغذاء الصبايا اللاتي اخترن لتعلم العزف على الالات الموسيقية،لكي يحافظن على حسنهن وشبابهن. وكانت الملكة تسهر على أمور توريد شراب العنب، ولا سيما أن حمورابي – ملك بابل– قد طلب من زوج الملكة أن يبعث له بكميات كبيرة من هذا الشراب الطيب..) وحين يكون الملك (زيمري ليم) زوج الملكة (شيبتو) في ساحات المعارك، وتكون وحدها في القصر تتصرف بقيمة مزدوجة أعني ترى نفسها هي الملكة وهي الملك وتمسك السلطة بقبضتيها فهي الوصية على العرش (لهذا نرى البعض يوجهون الرسائل إلى ملكتهم، وهو ما يقره الملك زيميري ليم صراحة، فهو يعتبر زوجته بكل تأكيد مندوبة عنه، وكانت الملكة، تضع ختمها الاسطواني الذي يحمل

الكتابة التالية: (شيبتو بنت يارليم – ليم) على بعض الأبواب وسلال للوحات والمستودعات/٩٣علي القيّم) ومن جراء تسلطها المركزي الحريص، فهي في غياب زوجها: لاتسمح لناظر القصر، الدخول إلى القصر، في غياب زوجها الملك إلاّ بأذن منها وهذا يعني لها السلطة المطلقة في البلاط أثناء غياب زوجها الملك، لكنها لم تستغل سلطتها سلبا وتغدر بمليكها كما فعلت سميراميس، عندما وثق بها زوجها فقتلته وفيه مدفنه نصبت له تماثيل ذهبية، ولم تفعل فعلت الملك زكوتو حين صدرّت تعهدا خطيا يلزم الجميع بطاعتها وعدم خيانتها وإلاّ سيكون مصير من يفعل ذلك هو عقوبة الموت.

الكادحات في مدينة ماري

مزدهرة تجاريا هذه المدينة ومكتظة بالخيرات وعطايا النهرين العظيمين دجلة والفرات وعلى ضفاف النهرين شهقت المدن العراقية: أور وأوروك ولا غاش وأوما وماري.. وتقنونت المياه من خلال شبكات المجاري العذبة لتصل عيلام والبحرين في الالفين الثالث والثاني ولتكتنز المستودعات بالمستورد والمحلي من المنتجات والسفن الملأى بالحبوب يسحبها العمال سحبا ويستمر السحب لعدة أيام وليس الرجال فقط (كانت النساء يكلفن بجر السفن وتعبئتها وأن أربعين امرأة من الأرقاء قمن خلال ست أيام

بجر سفينة محملة بالتمور وأن أربعا وثمانين امرأة أخرى قمن خلال عشرة أيام بتعبئة محصول حقل وجرّ وتفريغ سفينة../ ٩٥)

ماري تؤنث الحجر

يبدو أن الحضارة في مدينة ماري بلغت شأوا عظيما بسبب الآزدهار الاقتصادي والاستقرار المجتمعي، وتولهت بالجمال الفذ، الجمال السوي الذي عمقه في وضوحه،فالوضوح شجاعة إبداع وليس الوضوح جريمة بل جرأة تتصدى للقبح وشركاءه،وقد عثر العلماء على أكثر من مائة تمثال(كان نصيب المرأة من هذه التماثيل يتميز بالوفرة والغنى والتنوع،وهذه دلالة واضحة على أهمية دور المرأة في ماري والمكانة العالية التي تحتلها في مجتمعها../٩١/ علي القيّم) ومن خلال التماثيل نتعرف إلى وفرة الحرية الثقافية آنذاك فهناك تمثال معبر جدا: رجل وامرأة في عناق حميم وهما جالسان على كرسي واحد.. واللافت للنظر بشهادة الأستاذ الباحث علي القيّم التي تم العثور عليها كانت معظمها في معبد عشتار.. من هذه الوفرة في تماثيل النساء ينبثق لديّ السؤال التالي: هل في هذه الكثرة شحنات سحرية توائم العقل البري آنذاك؟ للإجابة أو للدنو من الإجابة واصلت نبش الكتب وتوقفت عميقا لدى أطروحات الباحث العراقي الأستاذ زهير صاحب، فهو يرى الرأي التالي، من خلال تناوله للظاهرة في

مستوطنات حضارة حسونة على الأراضي العراقية والبّداري على الأراضي المصرية في آواخر الألف السادس قبل الميلاد.. (يمكننا عقد نظام من الصلة الفكرية، بين تلك الأعداد الكبيرة من التماثيل الفخارية النسوية من دور حسونة، والفعاليات والطقوس السحرية الاجتماعية،ذلك أن حبالى مستوطن (جرمو) قرب جمجمال في السليمانية ٦٧٥٠ ق.م: يعرضن نوعاً من التظاهر الشكلي بحالة الحمل أو صيرورة الولادة لدى المرأة ففعل التمثل كان ضماناً بحصول الولادة الفعلية الناجحة. وعلى وفق هذا النوع من الشعائر السحرية التي عرفناها بالسحر التماثلي أو التشاكلي، تمكن الفكر من إستعطاف إرادة تلك الأرواح الخفية تارة أو إجبارها تارة أخرى، لتعمل على تحقيق المطامع والرغبات الاجتماعية /٣٢/ زهير صاحب/ تقابل الحضارات/ دراسة في الحضارتين العراقية والبابلية// مكتبة مدبولي/ القاهرة ومكتبة عدنان / بغداد/ ط١/ ٢٠١٦) في ١٩٦٥: دليل جمالي نسوي آخر يبزغ من أعماق أرض أور: عثرت البعثة الأثرية أثناء التنقيب على جرّة فخارية كبيرة، سليمة، تنتسب إلى الألف الثالث ق.م (وهي مملؤة بالتماثيل والأدوات والمجسمات الصغيرة، وقد أطلق عليها كنز أور) وكالعادة ستكون للمرأة النصيب الأوفى وهذه يعني ربما تراجع جزئي في الأبوية المطلقة: امرأة صغيرة من عاج مكتملة بعريها الباذخ،ربة عارية صغيرة نحاسية.أساور من ذهب أساور من

نحاس،ثلاث نجوم فضية،ست تمائم من اللازورد... خرز وخرزة كبيرة من اللازورد متعددة الوجوه منقوشة على كتابة مسمارية، يتقوس العالم الآثار (جورج دوسان) يضع مكبرة أما النظارة الطبية التي يرتديها ويقرأ المسطور(أهدي هذه الخرزة المغزلية إلى الربة غال،فيرانيادا ملك أور، عندما كان غاتسود ملك ماري / ١٠٣/ علي القيّم) وكذلك الامر مع أختام الدولة فمعظمها تحتوي صورة الربة عشتار وفي كل الأختام تجسد عشتار الربة المتشفعة لبني البشر.. من هذا نستشف أن السيادة النسوية لم تكن بالواحدية في حضرة الألفين الثالث والثاني ق.م فقد تجسدت المرأة في مملكة ماري،فهي الخصب والنماء والعطاء والشفيعة والمباركة وهكذا تأتل نسق المتعدد في الواحد(صور المرأة الملكة،الربة الأم،المرأة العاملة، الكادحة، المرأة الفنانة، الموسيقية، المرأة المدبرة، الصبورة، المجاهدة...)

مملكة أوغاريت: الفن امرأة

الحياة اليومية في مملكة أوغاريت والفن فيها كلاهما يمجدان المرأة الأوغاريتية. المرأة هنا غزيرة مؤثراتها الإبداعية،هذا ما أعلنته جهود علماء في هذا الجزء من حضارة أوسع قوس هي الحضارة الكنعانية في بلاد الشام: المرأة تماثيل فاتكة الجمال من العاج ومن الفضة والذهب ومن الحجر المصقول.. وكأن هذه

التماثيل البارعة صوراً مصغرة تقودنا إلى الأم الكبرى الإلهة/ المرأة المجنّحة (عناة) التي سطع حضورها الفني في النقوش والنحت والأختام الأسطوانية وسائر الفنون التشكيلية، وهذه كلها أدلة على مؤثرية هذه الإلهة في الطقوس الدينية آنذاك، وفي إستقواء السلطة الملكية، المستظلة بحصن من أجنحة الإلهة (عناة) في (اللوحات العاجية التي كانت تزين السرير الملكي، والأجنحة مزدوجة، أثنان مشرعتان نحو السماء، وأثنان متجهان نحو الأرض، وينسدل شعرها الأسود الكثيف على كتفيها../ ١٦٣/ علي القيّم) ما يستوقف قراءتي لتوصيفات الإلهة (عناة) يوصلني إلى عبادة مازلت فاعلة لدى طائفة كبيرة لدى الشعب الهندي والسؤال هنا مَن قبس مِن الآخر؟ الطائفة الهندية قبست العبادة من الكنعانيين السوريين؟ أم.....؟ أما ثمة وشائج فرعونية هندية كنعانية؟ وأليكم الوقفة.. (شعرها الكثيف يأخذ شكل قصة شعر الإلهة المصرية (هاتور) فيبرز وجه الإلهة من خلاله على شكل وجه البقرة، وينطلق من جبينها قرنا الألوهية، ليعانقا قرص الشمس وعلى شفتيها ترتسم شبه أبتسامة رقيقة، في حين ينم منخراها الواسعان، عن طيبة بطبع ناري حاد) يخبرنا الباحث الأستاذ علي القيّم أن ثمة وشائج إلوهية بين الشام ومصربل يؤكد أن (عناة) إلهة أممية (أن عناة كانت أما للألهة، كما هي أم البشر، تقوم على رعايتهم، وكثيراً ما تردد على ألسنة فراعنة

مصر ،بأنهم رضعوا حليب الإلهة عناة..) لكن مصدر الوشائج ليس دينيا بل جنسيا شرlايا

من خلال الملكة (شار – إل – لي) زوج الملك الأوغاريتي، فهي مصرية والدليل هو الكلام التالي (كان لهذه الملكة ختم خاص محفور عليه خطين من الهيروغليفية المصرية. ومن الممكن أن تكون هذه الملكة، زوجة الملك (نقمد الثاني) ويعتقد أنها مصرية، وأنها غيرت اسمها بعد الزواج من المصرية إلى الأوغاريتية، من أجل أن تتكيف في المجتمع المصري.. /١٥٦/ علي القيّم / نقلا عن د. صفية سعادة (أوغاريت) مؤسسة فكرللأبحاث والنشر/ الطبعة الأولى/ بيرو/ ١٩٨٢/ ص٤٢).

ق٣: أنثوية العلم

توقفتُ عميقا عند هذا الكتاب وأنا أتصفحه في كشك ناصر أبو الجرايد في ساحة أم البروم. ثم اشتريته، ولم تحدث لدي صدمة التلقي فأنا تربيتُ على كتب المربي الفاضل سلامة موسى وعرفتُ منه (المرأة ليست لعبة الرجل) وفي ٢٠١٠ نشرت لي مجلة أدب ونقد المصرية مقالة بعنوان (سلامة موسى: الوصول إلى المستقبل على دراجة: إطاراها العلم والاشتراكية) وضمنت المقالة في كتابي (زيادة معنى العالم) الصادر عن دار ضفاف في ٢٠١٤.

(أنوثة العلم) مِن إصدارات (عالم المعرفة) الكويتية صدرت الكتاب في ٢٠٠٥ وهو من تأليف ليندا جين شيفرد وترجمة د. يمنى طريف الخولي والكتاب يهتك ما يدعيه ذكورة العلم من نظام معلوماتي زائف، يصنّف المرأة محض مستقبلة للنشاط الجنسي الذكوري الإيجابي الفاعل المرسل حيث وأدت الذكورة العلمية حقيقة علمية سطعت في ١٨٩٥ الذي يكشف أن الفاعلية الأنثوية الإيجابية في الاتصال الجنسي بين الرجل والمرأة ودور المرأة الفاعل وليس المنفعل فقد أكدت بحوث العالمة البيولوجية مؤلفة

الكتاب ليندا جين شيفرد في كشوفاتها الثورية (أن الحيوان المنويّ لا يستطيع تخصيب البويضة إلاّ بفضل إفرازات تصدر عن الجهاز التناسلي للأنثى تُمكّنه من ذلك).

ق ٤: إيميسال ونقض مركزية المركز

الحركة النسوية ليست صرخة غضب بل برنامج عمل يسهم في تطوير المجتمع على كافة التراتبيات وليس على راتوب واحد وليست وليدة اليوم لقد انبثقت بشائرها في حضارة أور حيث تألقت لغة خاصة بالنساء أطلق عليها **(إيميسال)**.. ستواصل نون النسوة نواحها ثم نضالها الدءوب. وصولاً إلى **(نقض مركزية المركز)** ما بين القوسين عنوان كتاب صادر ضمن سلسلة عالم المعرفة/ دولة الكويت/ ٢٠١٣ يدعو الكتاب إلى فلسفة من أجل عالم متعدد الثقافات والكتاب من تحرير أوما ناريان وساندرا هاردنغ ومن ترجمة يمنى طريف الخولي: في هذا الكتاب القيّم يجري الرصد النسوي للروابط بين البطريركية والرأسمالية وقمع النساء وفي السياق نفسه طورت باحثتان تحليلاً ماركسيا نسويا للعلاقة بين تراكم رأس المال وتقسيم العمل تبعاً للجنس. كما ركزت الباحثتان بين خضوع الجنوسة والأشكال الأخرى من القمع. وفي المبحث الماركسي نفسه، ثمة اشتغال معرفي مميز حول النسوية والتنمية المستدامة وبناء المعرفة التي تتناول تساؤلات حول المرأة والتنمية والتحديث وهنّ بذلك يقدمن نقدا صريحا للمشروع التنويري. حيث

يتصدى فريق من الأدبيات لسيادة المنهج العلمي الغربي. ويكون الاشتغال المعرفي على تفكيك النموذج الإرشادي الذي يجعل التنمية مساوية للتحديث ويضفي تطبيقا على مؤسسات وعمليات الرأسمالية الصناعية ويسوّغ التدهور البيئي/ ص٣٧ النشاط النسوي من خلال مقالات هذا الكتاب الضروري لنا جميعا ثم تخبرنا الباحثة لغونز، عن موضوعة لم نتناولها لحد الآن في مباحثنا السيوسيولوجية أعني بذلك مفهوم (الشخصية المنُكَّثة) وكيف يمكن أن نقوم بصقل الشخصية المنكثة؟ فالباحثة لغونز (تعتقد أن إخفاق النساء في أن يجبن بعضهن البعض ينشأ عن إخفاق في أن تتآلف النساء مع نساء يقطّن عوالم لا يشاركن فيها: إنه الإخفاق في أن ترى المرأة نفسها في نساء أخريات مختلفات./ ٢٠٣) هنا ترى الباحثة لغونز وتعزو الأمر إلى رؤية الآخرين الذين يقطنون عوالم خارج العوالم التي نشعر فيها بالارتياح. حين ننظر (بالعيون المتغطرسة) حين تدرك النساء البيض، النساء الآسيويات (بالعيون المتغطرسة) أوحين تنظر النساء الأمريكيات الأفارقة إلى النساء اليهود بإدراك متغطرس.

تدجين المرأة

ما يجري الآن يلزمنا أجمعين بمثاقفة معرفية عميقة من أجل بيئة منفتحة تمتلك مؤهلاتها لاستيعاب التدفق المعرفي الهائل

المستجد في حياتنا اليومية، جاعلين من حاضرنا مفتاح ماضينا. لأن حاضرنا مكتنزٌ بمتغيرات كبرى لم تطرأ إلاّ على مخيلة بعض الليالي في ألف ليلة وليلة منها: البساط السحري..

الموجع الآن أن الذات الأنثوية مازالت منقوصة وزادها نقصاناً غوايات الزجاج الافتراضي الذي أوهمنا بحريةٍ غير مشروطة فارتمت بين أحضانه طوعاً فتخلت عن ذاتيتها في الوعي واكتفت بمسجاته الزجاجية لغريزتها الجنسية الشرهة، أسوةً بالذكورة المتوهمة فحولةً. وهناك من النساء ما يقتصر تحررها على الأناقة.

ق٥: المرأة في حضارة وادي الرافدين

المرأة الرافدانية: مقياس حضاري

نتوقف عند مرحلة عظمى من التأريخ العراقي القديم، وقفتنا مبأرة نسويا، ذلك لأن حضارة وادي الرافدين: حاضنةٌ لنسوية أساطير الخلق. لكن يبدو أن الدراسات المنجزة، كانت ذكورية الجهد، فركزت على فاعلية الرجل وحذف مؤثرية المرأة آنذاك. وهنا نقترضُ من جهدٍ معرفي للباحثة ميّادة كيالي وهي تسلّط ضوءاً على فاعلية المرأة عموديا وأفقيا. فقد وقفتْ وتوفقتْ عميقا في تبريز دور المرأة السومرية، وبشهادتها وهي شهادة غير مجروحة (إن المدخل الحقيقي لفهم موقع المرأة في الحضارات من سومر إلى آشور مروراً بأكد وبابل، قد يكون التشريعات/ ٣١/ ميّادة كيالي).

الحقوق تتصفح التاريخ

فعلا أنّ الوعي الحقوقي هو وحدة القياس الحق، لأن هذا الوعي (يعكس بنية المجتمع وطبيعة العلاقات وتعكس أيضا، بطريقة غير مباشرة، ما كان سائداً في فترات سابقة/ كيالي) ومن

خلال سنّ قانون تشريعي جديد، فإن الجديد ينقضُ ما قبله، وما قبله يحدد فترة تاريخية سبقت الجديد، وهذا يعني أنه كانت هناك تقاليد مجتمعية معمول بها فجاء القانون الجديد، لينقضها ومثال على ذلك ما قام به المشرّع أوركا جينا: (في فترة تعود لأكثر من ألفي سنة قبل الميلاد بأن المرأة إن تزوجت أكثر مِن رجل في آن واحد ستعاقب..).. هذا الزواج يذكرني بزواج الرهط في فترة ما قبل فجر الإسلام، حيث كان الرجالُ يعاشرون نفس المرأة، ومن زواج الرهط جاء: زياد بن أبيه، أخو معاوية بن أبي سفيان.. من جانب آخر يبدو أن القانون الجديد، يشير إلى أن المرأة كانت تتزوج في الوقت نفسه أكثر من زوج واحد، وهذه التعددية من جانب تاريخي تعلن سيادة المرحلة الأمومية في المجتمع، أما القانون الجديد فيعلن سيادة المجتمع الأبوي.. والسيادة النسوية كانت لها مستحقاتها حتى في أثناء السيادة الأبوية:

أولاً : للمرأة مكانتها الاقتصادية والسياسية والدينية

ثانيا: ولهذه الأسباب ينسب الأطفال إلى أمهاتهم

ثالثا: تنتقل الثروة من الأم إلى الأبناء

تذكير الخطاب

في السياق نفسه يرى الباحث العراقي ناجح المعموري أن الانقلاب الفكري الخطير يتجسد بانهيار سلطة الأمومة الكبرى

وصعود السلطة البطرياركية التي لعبت دوراً كبيراً في إنتاج خطابها الثقافي، فقد استغلت هذه الأبوية: المرويات الشفاهية لصالحها من خلال تدوير الشفاهي الأنثوي إلى نصوص كتابية ذكورية، وستتحول ليلث الزوجة الأولى لآدم، إلى الشيطانة المعولة بالليل، وذلك لأنها رفضت أن يركبها آدم وهو يضاجعها وإصرارها على أن تكون هي التي فوق وهو الذي تحت، في حين تمسك يهوه بأن يكون آدم راكبها. وسيقوم النحت بدوره بتمسيخ تدوير الشفاهي لزوجة آدم الأولى، كما هو الحال في المنحوتة (امرأة عارية لها جناحان وساقا طائر للتعبير عن قدرتها على التسلل. تقف على أسدين للتدليل على سلطة أنوثتها. وإلى جانبها بومتان للتوكيد على حياتها الليلية../ ٣١٢/ ناجح المعموري/ التوارة وطقوس الجنس المقدس).. إلى جانب هذا التصارع بين الذكورة / الأنوثة: هناك أسطورة تجنح نحو تعادلية سبقت مفهوم التعادلية لدى توفيق الحكيم بآلف السنوات وهي كالتالي (كان الرجل والمرأة بالنسبة لفلاسفة العصر القديم في شخصيتهما مخلوقات غير كاملة، فلم يكونوا إلاّ أجزاء مكونة لمخلوق واحد. فقد كان عندهما في نفسيهما القوة الكامنة لإعادة الإنتاج والخلود لكنهما بنفسيهما كانا عاقرين وعاجزين. فباتحادهما فقط، وفي نشاطهما المتبادل والتعاوني، يصبحان واحداً– روحاً مثالية. وعندها فقط يكونان قادرين على تحقيق الوصية المقدسة التي خلقا

سويا لأجلها../ ١٠٩/ كليفورد هوارد/ عبادة الجنس).

الانقلاب العسكري الأوّل في التأريخ

تؤكد البحوث أن هذا الانقلاب الذكوري تزامن مع استقواء الرجل بالمعدن، وما يدره المعدن من ثروةٍ : (ترافق مع ثورة المعادن وصناعة الأسلحة والحروب والتوسعات وتشكيل المدن وظهور التشريعات وإن بشكلها الأولي على هيأة إصلاحات، وهو ما سيلقي الضوء على طبيعة المجتمع والعلاقة ما بين المعبد والقصر.../ ١٧/ ميّادة كيالي).

المعلّم الأول للإنسان هو الحيوان: رأى الإنسان إلى السماء مصادفةً أو وهو يفتشُ عن حاجةٍ افتقدها على الأرض، فتوقفتْ حركة عينيه على نسق الطيور، ثم كيف يتحوّل النسق رتلاً، استهوته أصوات حيوانات البراري وأرعبته أصوات حيوانات أخرى، وكذلك البرق والرعد، من كل هذه التمارين: تعلّم الحركات والمحاكاة، وارتعش جسده كله وبعينين مفتوحتين راح يتلمظ وهو يرى العنف الجنسي لدى الحيوان،فمارس عنفاً جنسيا مع أنثاه.

(*)

لديورنت تعليل طريف على هذا (الانقلاب العسكري) وتسنيم العسكر السيادة المطلقة على المجتمع، وقبل إجابته يتساءل ديورنت: ما الذي حدا بالناس أن يستبدلوا بالحالة البدائية التي

كان الزواج فيها أقرب إلى الفوضى، زواجاً فردياً؟) فالقصد من الزواج الفردي ليس أخلاقيا، بل لعوامل اقتصادية، كما يرى ديورنت: (فالزواج الفردي جاء نتيجة لرغبة الرجل في أن يسترق لنفسه رقيقا بثمن رخيص، وفي الوقت نفسه لعدم توريث ملكه لغيره) أما الباحثة غيردا ليرنر في كتابها (نشأة النظام الأبوي) فترى (أنّ الغذاء الذي يحتاجه الأفراد كان يتم تأمينه من الطرائد الصغيرة التي كانت المرأة والأطفال يتولون القيام بجمعها، وكون الرجل اختص بالحروب فذلك ليس لتميزه جسديا، بل لكون المرأة كانت مصدر النمو والتمدد للقبيلة، فمع معدل أعمار لا يتجاوز الثلاثينيات كما تشير الأبحاث، لتلك الحقبة، انتبه الرجل إلى حاجته للحفاظ على الأنثى لأنها الحماية لإنجاب الأبناء والكثرة العددية.. رغم سيادة المجتمع الأبوي، لكنها ليست بالسيادة المطلقة التي تجرد المرأة من حقوقها، فالقوننة تكفلت، الاستقلال المادي للمرأة، والتزمت بها في حالة الطلاق والترمل، رغم أن القوننة تجنح نحو الرجولة، لكن هذا الجنوح الذكوري لم يمس قدسية الإلهة الأنثى ولا الكاهنة. وهناك الأهم هو الاستقلال الاقتصادي المضمون للمرأة ويتجسد ذلك بحصول (المرأة على، البائنة: هبة من والدها، والتي كانت تمثل حصتها في ميراثه عند زواجها، وكذلك يمكن أن تحصل عليها في حالة تحولها إلى كاهنة، هذه البائنة شكلت الحماية الاقتصادية الأهم للمرأة، والتي

عززت من مكانتها الاجتماعية،فقد كان يحق لها أن تتصرف بها كما تشاء وتبقى باسمها دون أن يحق للزوج تحويلها لاسمه، ويرثها أبناؤها، وإن لم يكن لها أبناء فإنها إن ماتت تعود البائنة إلى أبيها. وكذلك هبة الزوج لها من ممتلكاته على حياته، وذلك لمنع الأولاد من الاستيلاء على حصتها../٣٥/ ميّادة كيالي) لحضارة وادي الرافدين، احتواء عظيم للنسوية فقد تشددت هذه الحضارة في الدفاع عن المرأة، فمن يغتصب امرأة يحكم عليه بالموت. والزوج الذي يفتري إفكاً على زوجته ويتهمها بالزنا، وحين تثبت الأدلة الجنائية أن هذه الزوجة بريئة، (فإنه يعرض نفسه للعقاب الذي يصل إلى حد الموت، وفي حال قيامه بذلك،أثناء الشجار، فإنه يعد ظرفا مخففاً إذ يعاقب القاذف بخمسين ضربة عصا، ويؤدي عملاً شاقاً لمدة شهر في السخرة الملكية ويدفع وزنه رصاصاً ويشوه تشويها واحداً../ بورت/ نقلا عن ميّادة كيالي) ومن جهة أخرى فأن القيام بالإجهاض يعتبر جريمة عقوبتها الموت، كما جاء في مسلة حمورابي. وكذلك ينص قانون المسلة: تنفيذ حكم الموت على ابنة المتسبب بالإجهاض، وازداد التشدد بخصوص الإجهاض في الفترة الآشورية، إذ نصت قوانين آشور على (يجب أن يموت المعتدي نفسه) في حين نصت القوانين الآشورية الوسطى (إذا تسببت المرأة الإجهاض لنفسها واتّهمت وبرهن ذلك، فأنها تُخوزق ولا تدفن) ومن جانب آخر

كانت القوانين تتصف بكثير من المرونة مع النساء من جانب آخر، فالمثبت بقوانين حضارة وادي الرافدين أن الزانية عقوبتها القتل، ويكون ذلك بموافقة زوجها. لأنه كان يحق له أن يعفو عنها وأن يطلقها، ولكن دون أن يدفع لها صداقها. أو يحرمها من كافة حقوقها من خلال اعتبارها: أمة. وجانب آخر كانت المرأة في بلاد الرافدين مساهمة في الحراك الاقتصادي ويحق لها أن تشتغل بالأعمال التجارية مستقلة عن زوجها. ولها حق الاحتفاظ بعبيدها وحق تحريرهم من العبودية. بل ويحق للمرأة الحرة أن تتزوج عبدا، وهكذا يرثون حريتهم من أمهم الحرة وهذه السمة الرافدانية لا توجد خارج حضارة وادي الرافدين/ بورت / ٧٢/ عن ميّادة كيالي / ٣٥ والخطوة التقدمية الأخرى في الحضارة الرافدانية (إذا توفي رجل ولم يخلّف أولاداً فابنته سوف تحصل على ميراثه..) بخصوص العلاقة الزوجية فقد نصت القوانين السومرية والبابلية، على حق الرجل في تطليق زوجته التي ولدت منه أولاداً، ويحق له أن يتزوج امرأة ثانية ولكن سوف (يطرد من بيته وتقطع علاقته بجميع ما يملك وليذهب إلى من يؤويه /عقراوي/ نقلا عن ميّادة كيالي) نلاحظ هنا أن القوننة ذات شحنة أنثوية واسعة الأبعاد، تناصر المرأة وتحفظ كرامتها وتضمن مستقبلها من ناحية الإرث وكذلك من ناحية الكرامة الزوجية، وتسعى إلى الحفاظ على تحرر المرأة الرافدانية من الناحية الاقتصادية، ومنحها فسحة ثانية من الحياة

الزوجية في سنوات الحرب وما يشبهها من حالات فقد نصت القوانين الرافدانية (في حالة غياب الزوج لأكثر من خمس سنوات تمنح الزوجة،، لوحة الترمل، وتستطيع الزواج في بداية السنة السادسة، وإن عاد الزوج الأول وبرر غيابه يستطيع استعادتها على أن يقدم للزوج الثاني بديلة عن زوجته..).

في زمن الحرب تكون الفترة لا تتجاوز العامين، فإذا الزوجة المنظرة زوجها من موظفات القصر فإنّه يقدم لها الطعام مقابل الخدمة، أما إذا كانت امرأة من عامة الشعب ولا عائل لها فتتقدم إلى المحكمة بالتماس ليخصص لها كوخ وقطعة أرض لإعانتها../ بورت.

من جانب تاريخي: نلمس أن الفترة السومرية والأكدية، كانت مساحة التأنيث مشعة، خلافاً للفترة الآشورية الذكورية، نلاحظ أن التضاريس الجبلية ألقت قسوتها في القوننة الآشورية، حين نقارن الموقف بين قوانين سومر وآشور سنلاحظ أن (في شريعة حمورابي مُنحت المرأة نصف أملاك زوجها من أجل عنايتها بأطفالها حتى البلوغ وبالمقابل تغافلت القوانين الآشورية عن موضوع الأطفال بتاتاً وتركتها لمشيئة الأب وكأننا نرى مع تقدم العهد البابلي نحو نهايته ومع العهد الآشوري انزياحا في الحقوق المدنية للمرأة بشكل واضح...) هل السبب يكمن في طبيعة الأرض الجبلية هي التي شحنت النفس البشرية بقسوتها وقسوة

المناخ؟ فتولد ذلك التعامل الجاف مع النساء، مع تخطي البشرية مرحلة الصيد وهي مرحلة أمومية، مع اكتشاف المعادن وصناعة الأسلحة اكتملت شروط التفوق الذكوري خارج البيت (في نطاق الحياة العامة التي يُفضّل إقصاء النساء منها.. وهؤلاء يريدون أن يُبقوا امتياز الولادة تحت السيطرة، يطبقون الآليات المعتادة: مِن ناحية يقللون من شأن النساء أينما أمكن ذلك، ومن ناحية أخرى يحذرون من القوة الأنثوية المدمرة. ويجري تجاهل التشابهات الكبيرة بين الرجال والنساء لأن التأكيد على الاختلافات الجنسية يُبقي الهيراركية سليمة دون مساس..

تطور هذا الضعف البشري من حقيقة أن الرجال كانوا أغلبهم أقوى بدنيا وطوروا قوة عضلية أكبر من خلال الصيد../١٧٤/ مينيكه شيبر/ تلال الفردوس).

لكن المرأة عرّفت كيف تنفذ من هذا الضنك وتقود مجتمعا وتثبت بصمتها كما فعلت زكوتو: عشيقة سنحاريب وأم أسرحدون..

من هي زكوتو؟ وكيف حكمت بلاد آشور العظيمة ولا صفة ملكة تحمل؟ ماهي إلاّ إحدى خليلات الملك العظيم سنحاريب التي أنجبت منها الملك: إسرحدون الذي ورثَ المملكة من أبيه سنحاريب، وحين انقتل إسرحدون أثناء حربه مع مصر، صارت زكوتو الوارثة الوحيدة للمملكة. إذن هي (نقيا) التي صار اسمها

زكوتو عشيقة سنحاريب ووالدة إسرحدون وجدة آشور بانيبال: إذن زكوتو: زوجة ملك وأم ملك وجدة ملك.. وهكذا ارتفعت من خفيض العشيقة إلى سنام الملكة، أثر مقتل ولدها الملك إسرحدون. لا مفاجأة في الأمر إذن فلا صدمة تلقي لدى الآشوريين: نقيا.. أو زكوتو مقرون أسمها مع اسم سنحاريب منذ ٧١٣ قبل الميلاد. عندما تولى منصب ولي العهد بتوقيت سرجون الثاني. لكن السؤال الأهم كيف صعدت زكوتو ملكةً وسنحاريب أنجب أكثر من أحد عشر ولداً من زوجاته وما ملكت يمينه..!! والدهشة الثانية أن إسرحدون أبن زكوتو هو أصغر أولاد سنحاريب!! هنا سيعزف القدر سمفونيته، قبل بيتهوفن بآلاف السنوات.

أولا أخوة إسرحدون لا يكترثون لأخيهم فهو ابن عشيقة والدهم.. لكن زكوتو تحدس نواياهم الشريرة، لذا هرّبت ولدها إلى بلدة اسمها (ميتاني) على مشارف بلاد الأناضول.. حياة كل حكام العصور مشطورة بين السيف والسرير.. أمضى سنحاريب حياته كالخوارج على صهوات الخيول يقتل داخل العراق وخارجه لا يحسن غير لغة السيف. يقاتل العيلاميين والمصريين، يحاصر مملكة يهوذا، ويترك على حصارها كبير السقاة. وبتحريض من النبي (أشعيا) يرفض الملك (حزقيا) الخضوع والاستسلام ولا يعلم نتيجة الحصار بوجه اليقين، التوراة يتحول نشرة أخبار فيؤكد أن

الجيش الآشوري حل فيه الوباء وفتك به، لكن المرجح أن الجيش رفع الحصار عن أورشليم مقابل دفع جزية كبيرة من الفضة والذهب والنساء، ومن بينهن بنات الملك كما جاء في حوليات سنحاريب.. /٥٧٠ طه باقر/ مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة... انسحب سنحاريب مزهوا من أورشليم ليحارب مصر.. لكن الحملة انتصرت عليها العواصف والزوابع الترابية.. هنا يتلقف الهزيمة المخيال الميثالوجي، فتعلن التوراة (ملاك الرب خرج ليلاً وضرب مائة وثمانين ألف وخمسة آلاف) أما هيرودوتس فيضحكنا من خلال مروياته: إن الجرذان قضمت الجلود والحبال في سلاح الجيش!! ما يقوله المؤرخ يلائم فيلما كوميديا..

(*)

سنحاريب لا يجيد سوى العنف في كل خطوة يخطوها: يبدو على نفسه ناقما.. حين عاد إلى موطنه لم يفكر إلاّ بتدمير بابل للتخلص من الثائر مردوخ بلادان الذي ثار في عهد والد سنحاريب واستقل وحكم بابل أكثر من عشر سنوات، انتصر سنحاريب وانهزم الثائر مرغماتفرغ سنحاريب لمحاربة المدن العيلامية ونجح في غزوها وعاد مثقلا بالغنائم ثم ثار البابليون ضد سنحاريب (فصب سنحاريب جام غضبه على بلاد بابل فدمر المدينة المقدسة ودك حصونها وقصورها وسلط ماء الفرات على أنقاضها وأقسم أن بابل لن تقوم لها قائمة طوال ٧٠ عاما/٥٨١

طه باقر) يبدو أن سنحاريب أنجب ذريته قبل أن يكون ملكا فهو رجل بعيد عن الفراش والوطن شغله الشاغل مقتلة كل من يعترض طريق تنفيذ كوابيس في العباد والبلاد.. لا يهمني اهتمام سنحاريب بالحدائق وبتطويره للعاصمة فكل الطغاة وزعماء المافيا يحبون الحدائق والعمران وكلهم يلوثون حيوات البشر والنبات ولا يسلم من أذاهم حتى الصخر.. تحكم سنحاريب بالعباد والبلاد ثلاثة وعشرين سنة وترك أولاده (يتناطحون كالتيوس لأخذ الملوكي).

العلاّمة طه باقر

لم أجد حيزا عن النساء في مجلد ضخم بسعة (٧٢٧) صفحة من الحجم الكبير. الفهرس يحتوي أسماء ملوك وأسماء أماكن وأسماء سلالات: لا وجود لأول شاعرة في العالم وهي الكاهنة والحاكمة الأكدية ابنة سرجون الأكدي (إنيخدوأنّا الأكدية) أو الشاعرة (بُلبالة السومرية) علما أن طه باقر نفسه، هو من أوصل إلينا ملحمة كلكامش!! وفي ص ٥٧٣ يخبر العالم ألآثاري الجليل طه باقر لا نقلاً عن حفريات بل من خلال التوراة (سفر الملوك الثاني:١٩: ١٦ – ٣٧ أن سنحاريب اغتاله أحد أبنائه) ثم يغترف عالمنا الجليل من أحفوريات التاريخ: (والمرجح أن نزاعاً أو حربا أهلية نشبت على أثر ذلك، إلى أن أستطاع ولي العهد أسرحدون وهو أصغر أولاد سنحاريب إخمادها../ ٥٧٣/ طه باقر/ مقدمة

في تاريخ الحضارات القديمة) نلاحظ هنا أن لا وجود لزكوتو أو نقيا: عشيقة سنحاريب وأم أسرحدون فهذه المرأة هي التي هربت ولدها من براثن أخوته غير الأشقاء، ولا وجود لمؤثريتها على سنحاريب في توريث إسرحدون في مشغل العالم الجليل طه باقر ومن الجدير بالذكر أن سنحاريب قتل أباه وأصبح حاكما.

(سنحاريب الذي سمى نفسه يثع أيل ريام، المجرم الذي قتل أباه وتعاقد مع أعداء أمته من أجل السلطة/ شبكة المعلومات السورية القومية/ الروح والجسد/ ج٤/ أدونيس آرامي) وسينال الجزاء نفسه على يد أولاده. ثم يمر العالم طه باقر وامضا بخصوص زكوتو (ويبدو أن ولي العهد المختار آشور بانيبال كان محبوبا مفضلا من جانب جدته لأبيه الآرامية الأصل واسمها (نقية – زكوتو) فحصلت من البابليين ومن حفيدها الثاني (شمش – شم – أوكن) على الولاء لآشور بانيبال.../ ٥٧٧ طه باقر) هنا أيضا أحجم العالم طه باقر توسيع وتعميق هذه الومضة النسوية الخاصة: زكوتو / نقيا.. بعد مقتل إسرحدون في حربه ضد مصر، تولت زكوتو مقاليد الأمور في بلاد آشور بوظيفة ملكة، بعد مقتل ابنها إسرحدون في حربه مع مصر، لأن آشوربانيبال حفيدها. وزكوتو عاشت ونامت وأكلت مع الحكم، بتوقيت تولية سنحاريب وليا للعهد أثناء حكم سرجون الثاني. نعم لم تكن زكوتو مثل الملكة تاشيميتوم شارات: زوجة سنحاريب التي يقال مكتوب

على قصرها هذا الكلام على لسان سنحاريب (لزوجتي الملكة تاشميتوم شارات التي أحبتها الإلهة، هي الأجمل بين النساء، أفردت لها قصراً بنيته من الحب والبهجة والمسرة وبإرادة عشتار عسى أن نعيش حياة طويلة في القصر وننعم بالسعادة الكاملة)..

طه باقر وإنخيدو أنا: الذهب والحديد

في كتابه الشيّق (مقدمة في أدب العراق) يكرّس العلاّمة طه باقر حفرياته في الأدب الرافداني ويُهدي كتابه التاريخي إلى من ينشغل بالحاضر العراقي ولا يتغيّب وعيه فيما مضى ونلاحظ في ذلك أن العلاّمة يريدنا منشغلين بحاضرنا العراقي وأليكم تعويذة الإهداء (أهدي كتابي هذا إلى أولئك الأدباء الذين يخاطبون بأدبهم أهل العصور الذهبية الماضية، عسى أن يحفّزهم الكتاب على أن يهتموا قليلاً بأهل هذا العصر الذي يعيشون فيه، ويخاطبوهم بما يفهمون فلقد ذهب عهد الذهب، واستعاض عنه الناس بالحديد!) العلاّمة الخبير في التاريخ، يتوقف هنا عند الأدب الرافداني والسبب (النتاج الأدبي في حضارة وادي الرافدين... في مقدمة المصادر الأساسية عند الباحثين لمعرفة هذه الحضارة والوقوف على مقوّماتها وخصائصها../ ١٣/ طه باقر/ مقدمة في أدب العراق القديم) نلاحظ أن العلاّمة باقر يولي الأدب اهتماما عظيما إدراكا منه أن هذا الأدب هو الوجه الأكثر

نضـارة لـوادي الرافـدين.. فـي ص٢٥٤ يتوقـف عنـد نمـاذج مـن التراتيـل السـومرية التـي ألفتهـا إنخيـدو أنـا: التـي خصّصـها أبوهـا كاهنـة عليـا(أينتم) فـي معبـد الإلـه القمـر. ثـم يـورد عينـات مـن تراتيلها..

ق٦: العشيقة ثم الملكة: زكوتو

زكوتو يختلف أمرها، فهي امرأة من نساء القصر ويا لكثرتهن. إذن زكوتو ليست من الأسرة الملكية. لكنها من سرديات القدر الذي يتمرد على كافة النواميس. فهي عاشت مع سنحاريب وإسرحدون وآشور بانيبال: يعني جايلت ثلاثة أجيال: زوجها وابنها وحفيدها وكانت تحكم بلاد آشور من خلالهم. من جهة ثانية كان لسنحاريب ولدٌ هو المفضّل لديه جعله وريثه المختار اسمه: ندين شومي، سنّمه حاكما على بابل وبعد بضعة أشهر قاد حملة على أعداء الآشوريين: العيلاميين في ٦٩٥ قبل الميلاد فأندحر الجيش وانقتل ابن سنحاريب.

نلاحظ أن زكوتو عاشت مقتلة سنحاريب ثم مقتلة أبنها الملك إسرحدون وحفيدها آشور بانيبال: تسنمت زكوتو المكانة العالية في الدولة الآشورية وكانت ذات شخصية مشعة، وكانت تعمل على صياغة الرسائل الملكية وتستقبل المبعوثين والرسل القادمين من أصقاع الإمبراطورية الشاسعة.

لكن زكوتو ليست من سلالة آشورية ولم تكن آشورية المولد، يقال هي آرامية وهناك من يقول أنها عبرية.. إذن هي بوظيفة ملكة وبلا تسمية ملكية.. لا في زمن سنحاريب ولا في زمن ولدها

من سنحاريب الملك إسرحدون، لقبها الوحيد: والدة ولي العهد. وهي ولا أحد سواها يتلقى الرسائل من جميع مناطق المملكة الآشورية حول الأمور المهمة والأمور العاجلة وتتصدر كتابة تلك الرسائل العبارات التالية:

إلى أم سيدي الملك

وتبدأ: تحياتي إلى والدة الملك سيدي

أتمنى من إلهيّ آشور: (شمش) و(مردوخ) أن يحفظا الملك سيدي في كامل الصحة. آمل من والدة الملك سيدي، أن تصدر مرسوم خير... إلخ.

ويتم كتابة هذه الديباجة قبل أن تذُكر تفاصيل الأمر المطروح/ موقع صوت العراق/ عضيد جواد الخميسي.. إذن زكوتو شخصية نسوية كبيرة ومؤثرة خلال السنوات الأولى من حكم حفيدها آشور بانيبال، إذ كان يخشاها جميع المسؤولين في البلاط الملكي، بعد مقتلة إسرحدون في العام ٦٦٩ قبل الميلاد: أصدرت زكوتو وثيقة العهد والولاء في العام ٦٧٠ أو ٦٦٨ قبل الميلاد لتأمين عرش آشور بانيبال في البلاد، إذ أمرت رجال البلاط وجميع أفراد الشعب الآشوري بالاعتراف على أن حفيدها آشور بانيبال ملكا على بلاد آشور وتوابعها. ونصت عبارات تلك الوثيقة في العهد على ما يلي:

(أي شخص في هذا التعهد الذي أبرمته الملكة زكوتو

مع الأمة بأسرها بشأن حفيدها المفضّل آشور بانيبال

على أنك لن تثور ضد سيدك آشور بانيبال – ملك آشور – أو تجعل في قلبك أفكاراً تضعها في كلمات لخطة قبيحة أو مؤامرة شريرة، ضدك سيدك آشور بانيبال، أو تقوم بمؤامرة مع شخص آخر لقتل سيدك آشور بانيبال ملك آشور... آشور، وسين، وعشتار، يشهدون، ويلعنون منتهكي هذه المعاهدة)

كقارئ للنص أراني أمام نقلتين:

(١) في زمن حكم ابنها إسرحدون كانت صيغة مخاطبتها (إلى أم سيدي الملك) أما في زمن حكم حفيدها فصارت المخاطبة كملكة ويكتب اسمها: الملكة بشكل رسمي.

(٢) لقد بدأت زكوتو كمسؤولة عن ديوان المراسلات عن المسؤولين وحكام الأصقاع المترامية للمالكة. وكانت ترد على المرسلات بشكل رسمي في زمن حكم ابنها الملك إسرحدون.أما الآن فأصبحت لا تكتفي بذلك بل تشرّع يمينا دستوريا تلزم به جميع رعايا المملكة بلا استثناء.. وما تفعله زكوتو نتاج خبرة مع ثلاثة أجيال من الكراسي الملكية. وهي تخاف أن تتكرر جريمة قتل سنحاريب من قبل أبنائه وكذلك تخشى كيد رجال البلاط وتخشى أن تتكرر مجزرة الأسرة الحاكمة بالطريقة المعكوسة فبعد مقتلة سنحاريب على يد أبنائه، استدعت زكوتو ابنها أسرحدون باعتباره ولي العهد المفضّل كما نصبه والده سنحاريب وحتى

يفض النزاع على الملك. (شنّ إسرحدون حرباً أهلية شرسة استمرت ستة أسابيع ضد اخوته من أبيه وأتباعهم الذين قتلهم جميعاً هم وعوائلهم ومن ثم تربع على عرش مملكة آشور دون منافسة من أحد../ عضيد الخميسي).. السؤال الأهم لا جواب له حتى هذه اللحظة، مازلنا متشوقين لمعرفة الكثير عن زكوتو وما لدينا معلوماتيا لا يفي بالغرض وكل ما نعرفه: أن نقية أو نقيا هي عشيقة الملك سنحاريب: ولدت في سورية: يقال أنها آرامية أو عبرية. هل كانت من ضمن الغنائم التي يغتنمها سنحاريب في انتصاراته؟ وتحديدا هل هي ابنة أحد الملوك أو الوجهاء؟ لا يمكن أن تكون مِن همل الناس امرأة مثل زكوتو، فخبراتها في التعامل مع سنحاريب جعلها ربما مستشارته في مقاليد الأمور، وتثبيت ابنها إسرحدون وليا للعرش، ثم انتهاز فرصة التقاتل بين أبناء الملك المقتول واستدعاء ابنها من مخبئه في قرية على مشارف الأناضول واستعمال ابنها أسرحدون للسيف في تسنم العرش كل ذلك وغيره من تدبير زكوتو. وكذلك تفضيلها لحفيدها آشور بانيبال وليا للعهد ثم تنصيبه ملكا فهو من صنع يديّ زكوتو.. من وقائع الأحداث التي وصلت إلينا واستقرت في الكتب لا يسعنا إلاّ أن نكرر ما قالته الباحثة في الحضارة الرافدانية السيدة إليزابيت ماير تيتلو في كتابها القيّم والضروري لنا خصوصا نحن العراقيين الذين ننتظر من يترجم هذا الكتاب إلى لغتنا العربية: (المرأة:

الجريمة والعقاب في القانون القديم والمجتمع/ كانتينيوم للنشر – نيو أورليا نز – ٢٠٠٥).. تقول الباحثة إليزابيت ماير تيتلو عن زكوتو (إن لديها السلطة والتأييد الكافيين كي تكون قادرة على ضمان خلافة حفيدها كملك. كما تبين من خلال عقد شراء أرض زراعية.)

وتتساءل إليزابيث (لا يعرف حتى الآن إلاّ القليل عن زكوتو وحياتها الشخصية والتي جاءت في بعض الألواح الحجرية من المكتبة الآشورية التي تذكرها بالاسم، وحتى تاريخ ميلادها ووفاتها غير معروفين. بيد أن تأثيرها في الخطط السياسية والإدارية كان بارزاً بوضوح خلال فترة حكم ابنها إسرحدون وحفيدها آشور بانيبال ولا يعرف بالضبط كيف تمكنت من الوصول إلى أعلى السلطة وهيمنتها على البلاط الملكي بأسره.

والمعلومة العائلية الوحيدة عن عائلة زكوتو (كانت لدى زكوتو أخت واسمها،،إبرامي،،).

من هي زكوتو؟ تجيبنا الباحثة إليزابيث (هذا السؤال لا يمكن لأحد أن يعرف إجابته في الوقت الحاضر ويُنتظر من الاكتشافات الأثرية التي تحصل مستقبلا في المنطقة الوصول إلى بعض الحقائق الغامضة. لكن على الأقل فأن لدينا معرفة شبه مؤكدة، في أن زكوتو أو نقيا كان لها الدور الرئيس في بروز اثنين من ملوك آشور: إسرحدون وآشور بانيبال.

ق ٧: أول قصيدة في العالم:
الشاعرة إنخيدوأنّا: ٢٢٨٥- ٢٢٢٥

العهد الأكدي الجديد، بمثابة قطع معرفي فهو يبّث عهدا جديدا، بدأت فيه ملامح الحضارة الرافدانية، إذ حدثت متغيرات كبرى لغويا وقوميا وسياسيا، فقد ظهرت مقومات جديدة على المستوى الحضاري، إذ برزت مقومات وعناصر حضارية جديدة، وبشهادة العلاّمة في التأريخ العراقي طه باقر – طيّب الله ثراه – إن اللغة الآكدية وهي (السامية الشرقية من عائلة اللغات السامية): بدأت تحتل المكان البارز بكونها اللغة الرسمية المدونة إلى جانب كونها لغة محكية منذ أقدم الأزمان. واستمرت اللغة الأكدية في بروزها وتفوقها على اللغة السومرية في العصور التالية إلى أن صارت اللغة السائدة منذ العصر البابلي القديم(الألف الثاني ق.م) تدويناً وتكلماً..

صهيل وصليل

من الظواهر الجديدة وبتوقيت اتساع الخريطة الأكدية بفضل صهيل الخيول وصليل السيوف، أتخذ سرجون الأكدي لقب (ملك

الجهات الأربع).. وسيرث اللغة حفيده (نرام – سين) ويرى العلاّمة طه باقر بخصوص اللقب وكونه مظهراً مِن مظاهر ازدياد رقعة المملكة/ ٣٨٦/مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة.. ونلاحظ أن العلاماتية الجغرافية: الجهات الأربع، لا تكتفي بشحنة الجغرافية اللانهائية، بل لهذه العلامة جذورها التاريخية فهي لقب حصري في حيازة الآلهة العظام: آنو/ أنليل/ شمش بصفتهم أسياد الكون أما الملك الذي يتلقب بألقابهم فهو إله بالوكالة!! ونرى أن هذا من السلوك المريض لدى الحاكم مازال يواصل وظيفته لحد الآن: القائد الضرورة/ عز العرب/ الرئيس المؤمن وليس فقط على المستوى السياسي، فالفني ينافسه في ذلك: كوكب الشرق/ الشحرورة/ سندريلا الشاشة/ العندليب الأسمر/ مطرب العرب... وهنا نلتقط مفتاحا لهذا اللغز العابر من حيز الاسم إلى سعة اللقب الذي هو بحد ذاته تعريف بدرجة انزياح مسرفة أحيانا.. هل هكذا تكون اللحظة الخلاّقة.؟ (فليس بوسع الخيال البدئيّ الأسطوري أن يتخيّل نظريّة الخلق إلاّ بوصفها نظرية تسمية.../ ٧٨/ سعيد الغانمي/ فاعليّة الخيال الأدبي).

طوق التسمية

لا تكتفي السلطة باللقب، فالملقّب يشعرها لعبةً إعلاميةَ . وهذا ما فعله سرجون الأكدي لتثبيت سلطانه وطاعته (إن سرجون

أدخل اسم الملك في العقود القانونية مع أسماء الآلهة.. ومن الوسائل التي أدخلها سرجون لتوطيد وحدة المملكة توحيد التقويم بعد أن كان لكل دولة مدينة في العصر السابق تقويمها الخاص بها وأسماء أشهرها وأعيادها الخاصة../٣٨٧/ طه باقر).. وسرجون لم يثق بولاء المدن السومرية التي أخضعها إلى حكمه.. لذا عيّن من جانبه حكاماً على المدن والولايات التابعة. وفي عهد حفيده (نرام- سين) صار حكام الولايات يلقبون أنفسهم (عبد الملك)!! واستمر هذا العرف من العبودية التسموية الوظيفة في العهود التالية من الحكم.

١٩٢٢

في ١٩٢٢ قام علماء الآثار من جامعة بنسلفانيا والمتحف البريطاني في التنقيب والبحث في مدينة أور.. قائد البعثة الآثارية شاب إنكليزي يدعى ليونارد وولي، وأثناء التنقيب وتحديداً في الفصل الثالث من فصول البحث الاثني عشر يكتشفون قرصاً مُدوّراً من مرمر صغير قرب مكان إقامة الكاهنة الكبرى في معبد إله القمر: مع الرسمة التي في القرص مكتوب

(إنهيدوانا، امرأة نانا الخق، زوجة نانا
ابنة سرجون، ملك الجميع،
في معبد إنانا في أور..)

هذا القرص سيكون شاهد عدل، يفصل المتخيل عن الوقائعي لأنه: (قبل العثور على القرص، لم يكن الباحثون يعرفون ما إذا كان سركون شخصاً تاريخياً حقيقيا، أو أسطورياً متخيلاً.ل م يسمع أحد قطّ بإنهيدوانا قبل ذلك. وها وقد مرت خمس وسبعون سنة منذ اكتشاف إنهيدوانا، قام فيها الباحثون بالكشف عن/ وفك مغاليق آلاف الألواح الطينية المشويّة واللقى التي وسّعت نطاق معرفتنا عن العراق القديم،من بين الخمسة آلاف،أو أكثر، من الألواح الأدبيّة العراقية القديمة، يوجد من أعمال إنهيدوانا ثلاث قصائد طويلة لإنانا، وثلاث قصائد لنانا، واثنتان وأربعون تسبيحة معبيّة/ ٦٦/ بتي دي شونك ميدر).. هنا تتداعى ذاكرتي المكتبية نحو الجهود الريادية للباحث العراقي العظيم – طيّب الله ثراه – طه باقر(١٩١٢– ١٩٨٤)

الذي أثرى المكتبة العراقية والعربية بمصوغاته من سرد الأحفورية

فمن خلال ترجمته قرأنا (ألواح سومر) التي ألفها صموئيل كيريمر

وطه باقر هو الدليل المؤتمن الذي أرشدنا (إلى موطن الآثار والحضارة) وأصدرت هذا الكتاب السياحي مديرية الفنون والثقافة الشعبية بوزارة الإرشاد ١٩٦٣.. لكن اللافت للنظر أن العلاّمة طه باقر لا يذكر ولا مرةً واحدة: الكاتبة وأول شاعرة في العالم:

الكاهنة إنيخدوانا بنت الملك سرجون الأكدي التي لها دور فاعل في حكم أبيها سرجون بالأخص دورها الايجابي في تهدئة اضطرابات أور.. في الوقت الذي يذكر ولديه اللذين حكما من بعده وهما: رموش الذي حكم تسع سنوات ومانشتوسر الذي حكم خمس عشرة سنة ثم حفيد سرجون الذي حكم قرابة ثلث قرن من الزمن.من هنا من لحظة غياب اسم الكاهنة والكاتبة وأول شاعرة في العالم،علينا أن نعلن امتناننا العظيم للدكتور العراقي الأستاذ كامل جابر، المقيم في الولايات المتحدة الأمريكية فهو الذي ترجم هذا الكتاب الضروري لنا وللعالم العربي أجمع. والذي جعلنا في الوقت نفسه نستعيد نتفا من كتب الآخرين عن الشاعرة والكاتبة والكاهنة إنخيدوانا (وجاءت الترجمة بلغة عربية سلسة، لا التواء فيها، تيسر عملية قراءته وتغري بها.. ويبقى الكتاب مهماً ومفيداً وخاصة بما يقدمه من تحليل للفكر الديني ولتطور الوعي الفردي في حقبة مهمة من حقب التحول الفكري والسياسي في تاريخ العراق القديم/١٤٢/ سامي مهدي/ آفاق نقدية).

الحاضر مفتاح الماضي

في كتابها (صلوات إنهيدوانا) تخبرنا المؤلفة بتي دي شونك ميدر في الفصل الرابع من كتابها: في عام ١٩٢٢ قام علماء الآثار من جامعة بنسلفانيا والمتحف البريطانيّ، بمغامرة مشتركة

للتنقيب والبحث في مدينة أور التي دُفنت تحت ركام من الرمال في جنوب العراق. وقد غيّرت اكتشافاتهم معرفة العالم وفهمه للتاريخ، وحقبة ما قبل التاريخ. اللّقى الغنيّة التي عثروا عليها في تنقيبهم، سلّطت الضوء على ٣٥٠٠ سنة من الحضارة المبكرة ابتداءً بالقرى الأولى، التي بُنيت على حافة الأهوار الملحية حوالي ٤٠٠٠ قبل الميلاد، في ما يُعرف اليوم بالعراق الحديث، وتراكمت طبقات عدّة كان وجودها متخيّلا فحسب. كانت أور مركزاً للحضارة السومرّية التي ازدهرت على طول الفرات، وليس بعيداً عن نقطة اندماجه بدجلة، حيث يكوّن النهران دلتا عظيمة في رأس الخليج الفارسي. البعثة كان يقودها شاب إنكليزي يدعى ليوناردو وولي في تلال أور طوال اثني عشر فصلاً وكانت ظروفاً في معظم الأوقات عصيبة.. في فصلهم الثالث يعثر المنقبون على قرص مُدّور صغير قرب مكان إقامة الكاهنة الكبرى إيهندوانا في معبد إله القمر نانا، القرص يصوّر كاهنة تترأس طقس إراقة، كان مكسوراً ومشوّهاً بصورة متعمدة وعندما تم ترميمه، وجمعت قطعه معاً، ظهر نقش على ظهره:

(إنهيدوانا، إمرأة نانا، زوجة نانا
ابنة سركون، ملك الجميع
في معبد إنانا في أور
منصّة أنتِ بنيتِ

ومنصّة

مائدة السماء،،آن،، سميّت)

هكذا اكتشف المنقبون وصفاً (صورة قلمية) لإنهيدوانا،الكاهنة الكبرى لإله القمر، وأوّل شاعرة معروفة في التاريخ، والتي تعتبر كتاباتها أقدم عمل لمؤلف معروف على أنّه شخصيّة تاريخيّة وذكرت بالاسم في القصائد والترانيم.

(*)

إنخيدوانا: هي الخطوة الموسوعية الأولى التي أشرقت من بلاد الرافدين فأضاءت العالم آنذاك وهاهو يستضيء بها مجدداً من خلال توالي البحوث العالمية عنها. علماء الأحفوريات يجلونها ويشهدون أن نصوص إنخيدوانا سبقت شعريا ملحمة كلكامش، وهي أول ناشطة نسوية. وأولويتها النسوية تكشفت الآن للعالم مع تصاعد النقود النسوية وهنا أصبحت أنخيدونا كمنجز معرفي في الشعر والسرد والكاهنة والحكم المستنير: ضرورة معاصرة في قرننا الحادي والعشرين. يعود الفضل هنا إلى مكتشفها في مقابر أور الملكية وتحديدا في المعبد (كيبارو) وهو عالم الآثار السير (ليونارد وولي) وهي عمة الملك (نرام – سين) حفيد سرجون الأكدي. وهي أول من حصل على لقب (كاهنة – آن) وهو منصب ذو أهمية سياسية كبرى تشغله بنات من العائلة المالكة والريادة هنا للكاتبة والشاعرة (إنخيدوانا).. ومن أجل أن يضمن

سرجون الأكدي، سلامة حكمه في أور نصّبها كاهنةً على أهم معبد في أور السومرية.. ومن خلال علماء الآثار أصبحت إنخيدوانا هي أول شاعرة في العالم وليس الشاعرة سافو لأن إنخيدوانا سبقت سافو الإغريقية بنحو سبعة عشر قرنا.. وقد تركت إنخيدوانا أعمالا شعريةً غزيرة وتراتيل أطلقت عليها (تراتيل المعبد السومري) وكانت كتبتها باللغة السومرية.. وفي دراسة مستفيضة من الشاعر العراقي عبد الله حسين جلاب، يؤكد عبد الله جلاب على أن لها قصائد نثر وها أنا بدوري أضع مقبوسات من كتاب (قصيدة النثر تواقيع) للصديق الشاعر والباحث عبد الله حسين جلاب: عبد الله يرى أن قصيدةُ النثرِ هي قصيدةً أكدية بامتيازٍ تفرّدت بابتكارها الشاعرةُ (إنخيدوانّا) ابنةُ سرجون الأكديّ قبل الميلاد، فهي رائدتها الأولى في التاريخ البشري، وهي أقدم من ملحمة جلجامش، أجمل قصيدة نثر، بثمانية قرون وأقدم من إلياذة هوميروس بأحد عشر قرناً وأقدم من الشاعرة الإغريقية الغنائية سافو بسبعة عشر قرناً، فلا علاق

مكافأة لئيمة

التمردات في أور تسببت في تدهور مكانة الشاعرة والكاتبة والكاهنة والحاكمة إنخيدوأنّا.. في زمن أخيها ريموش اشتدت الاضطرابات، فجُرِدت من مكانتها.. والسؤال إذا كان يمكن تجريد

الحاكم فكيف يمكن تجريد الكاهن أو الكاهنة والكهانة مرتبة تنافس كل من بيده مقاليد الأمور بالنسبة لكل الأطراف، ولا ندري مدى صحة لسان التاريخ حين يعيدها للحكم في عهد (نرام – سين) وهو حفيد سرجون الآكدي وإنخيدوأنا هي عمته..

ق ٨: الحمامة:
سميراميس ٢٠٦٩ ق.م

بلند الحيدري وسمير اميس

منذ طفولتي صادفني اسم سميراميس في مدينة بصرة المعتزلة وصاحب الزنج والسيابجة والزط وأخوان الصفا والأشاعرة.قرأت اسم سميراميس على واجهة صالون حلاقة ورأيت الاسم مكتوباً بخط جميل على لوحة كبيرة لحانة صيفية غنّاء وفي العشرين من عمري استوقفني الشاعر العراقي الكبير بلند الحيدري في معلقته (سمير اميس).. حيث يلاحظ القارئ أن الشاعر شعرن السيرة الذاتية لسميراميس وأجاد في ذلك، والقصيدة هي الفعل الثاني للشاعر بلند الحيدري. أما الفعل الأول فهو قراءات بلند السردية عن شخصية الملكة الآشورية سميراميس. القارئ سيزداد تشوقا في تكرار قراءة القصيدة ولقد تخّصب مخيلتي ورحت أفتش الكتب عن سميراميس وأسأل أشقائي عن كتبٍ تزيدني علما بهذه الملكة الحقيقية والمؤسطرة بعد ذلك لدى الوعي الجمعي الراكز لدى الناس.. لكن بعد سنوات ستتكشف لي أن سميراميس المصنّعة شعريا على يديّ الشاعر بلند الحيدري لا تخلو من تلك المهيمنة

التي رافقت شعر بلند آنذاك فقد وجد الحيدري جانبا يخصه في الملكة سميراميس أعني بذلك موضوعة المرأة الملعونة وأن (موضوع المرأة الملعونة أو شدة تأثره به، قد حوّل،، المرأة،، إلى رمز وجودي في شعره دون وعي منه. فقد أصبحت هي مصدر شقاء الإنسان في الحياة.بل هي المسؤولة عن،،مهزلة الوجود،، كلها.../ ١٦٩/ سامي مهدي/)

يتماهيان: الخيالي والميداني

تمازج الميداني بالخيالي في شخصية سميراميس الملكة الآشورية، وهذا التمازج هو الذي أسطرَ شخصيتها العظيمة.ومثل كل الشخصيات الكبرى تكون ولادتها في السياق نفسه (يكتنف مولد سميراميس ملكة آشور الغموض.. وإن أمها من الربات وقد هجرتها في الصحراء عند مولدها فأطعمتها الحمائم، ولما صارت ابنة عام واحد وجدها راع اسمه سميراميس عند محل صخري فتبناها، وكانت ذات جمال فتان وأطلق عليها اسم سميراميس../ ٧/ ليديا هويت فارمر).. والسؤال لماذا سماها باسمه؟ لا تملك أما؟؟ قراءتي سوى إساءة التأويل وأعني بذلك أن يبث الراعي فيها تفعيل اسمه ميدانياً. والسؤال الأهم لماذا تهجر الأم بنتها في صحراء؟ هنا يوجد المسكوت عنه. هل القصد منها تفعيل اتصال ربوبي مع البشري. وما الحمائم إلاّ طوق سلام حول الطفلة، وربما

ثمة تجسير بين حاء الحمام وحاء الحلول صوفيا. وهنا يشتغل السرد بالمحذوف (ترعرعت واشتهرت بجمالها الفائق وذكائها المفرط) هذه الشهرة المزدوجة هل كانت مسيّجة بعازل عن الآخرين، ألم يتشهها رجلٌ أو يتوله بها أحد الشباب؟ السارد لسيرتها يستأصل البشري العادي، فالبشري هنا عاطل لأن سميراميس أمها ربة من الربات لذا لن يظهر في حياتها إلاّ من هو بمستوى جذورها وهكذا سيعقد لها السارد عقدا ملكيا، فينتهي بل يحذف المربي الراعي والدها بالتبني. ومن يدري ربما هو والدها الحقيقي حين تجسدت الربة أنثى وتشهت رجلاً فحلاً فاختارت الراعي... المهم سيحذف السارد الرجل الأول في حياتها/ والسؤال الأخر حين شبّت سميراميس:ألم يشاهدها أثرياء نينوى؟ أولادهم؟ يبدو أن هؤلاء كلهم لا يروقون للسارد العليم!! لذا (رآها يوماً مينوس حاكم نينوى وهو يتفقد رعية الملك نينوس في سورية، فاستوقفه جمال هذه الفتاة وشغف بها فتزوج منها.) وهنا سيتراجع دور الحاكم الذكر ويعلو منسوب الزوجة سميراميس، فشاركت الحكم أولاً بنصائحها ثم صارت سميراميس تحكم من خلاله وستخدمها تلك الفرصة الذهبية، حين أضرمت الحرب بين الملك نينوس والبكاترة التي لم تخضع له. سوف ينتصر الملك نينوس ويستولي على البلاد ولكن مدينة (بكتريا) ستكون مغلّقة الأبواب أمام صليل سيوفه وصهيل خيوله.

إذن ما نالته نينوى هو انتصار ناقص، لأن السلطان المهزوم متحصن في (بكتريا) وهنا استدعى منيوس وهو مستشار الملك نينوس زوجته سميراميس لتنقذ النصر من الهزيمة. وهنا حدست سميراميس أنها سترتقي سلما ذهبيا وهذا ما حصل حقاً.. هنا يظهر لنا السارد: لا الملك ولا مستشاره يفهمان شيئا من دهاء الحروب. بل المرأة التي لم تحارب – نقول ذلك على ذمة السارد العليم – ستقوم مقام هيئة أركان حرب وتنتخب فرقة من المتسلقين، وتقودهم شخصيا وتستولي على قلعة البكاترة. إذن ما جدوى قتال الجيشين في السهل الرحيب!! وهكذا انتصر الملك نينوس وانهزم مستشاره الغبي منونيس فقد انتقلت الحرب إلى سرير الزوجية وكانت مكافأة سميراميس زواجها من الملك نينوس وسيعوضه الملك بتزويجه ابنته. وهنا يحتدم منونيس فيختار شجاعة الانتحار.

خمسة أيام: تلفيق حكي

ستشارك سميراميس الملك نينوس الحكم وستكون هي الملكة وسيكون الملك غبيا جدا ربما بسبب غوايتها الجنسية أو سحرها.. إذ تطلب منه سميراميس التخلي عن الحكم لمدة خمسة أيام: أمام هذا الطلب أراني أصغي لحكاية خرافية، كلنا يعرف دهاء الملك، والمغزى من هذه الحكاية كما حذرنا منها الشاعر العراقي فاضل

العزاوي في وصاياه العشرة ومنها الوصية التالية (لا تلعب بالحبل مع الجلاد، قد يقتادك للشنق/ الشجرة الشرقية). وافق الملك الشيخ بل أذعن لغنج فتوة زوجته، فلبست خاتم الملك وتربعت على عرشه، وأصدرت أوامرها إلى المملكة المترامية وألزمت الجميع بتنفيذها.. وكانت مكافأة الملك تزيد على مكافأة الملك لمستشاره مينوس المسكين: كان مكافأتها لزوجها الملك: قبرا مهيبا مزّيناً بتماثيل من ذهب.. وهنا يعلو صوت سميح القاسم (خوفو يموت فشيدوا قصراً يعيش به الزوال) سميراميس سارت على نهج الجبابرة الذين يعرفون أن شعوبهم تكرههم فيتوسلون فن العمارة لتخليدهم. فاستعبدت مليونيّ عامل لبناء الجنائن المعلقة. وصار اهتمامها بتطوير مملكتها: لقد روضت نهر الفرات وجعلته يصب في بحيرة تم حفرها بأوامرها وكذلك أقنية هائلة وذللت الجبان والوديان لمآربها العمرانية وعند الجبال الشاهقة غرست حديقةً غناء لا مثيل لسعتها، وعلى سفح جبل نقشت صورتها واستمرت في تدجين الصخور والأنهار بإرادتها الفولاذية.. لذا يحق لها أن تباهل بنفسها قائلة –على ذمة الراوي – (خلعت عليّ الطبيعة شكل امرأة إلاّ أن أعمالي فاقت أعمال أشجع الرجال،فحكمتُ إمبراطورية نينوس التي تمتد شرقاً حتى نهر هيهانام وجنوباً إلى أرض المطر والمر، وشمالا إلى بلاد السيشان والصوجدبان.. لم ير قبلي آشوري البحر الكبير، فأنا أبصر بعيني أربعة بحور

تعترف شواطئها بسلطاني. وأكرهت الأنهار على أن تصب طبق إرادتي. وسيرت ماءها لإخصاب الأراضي التي كانت من قبل قاحلة وبِلا سكان. أقمتُ البروج المنيعة، ومهدت الطرق التي لم يطأها من قبل إلا وحش الغابة. وفي وسط هذه الأعمال العظيمة وجدت مجالا للسرور واللهو).

حصان طروادة: نسخة مزيدة

الكرسي لا يرتوي ولا يشبع، والكراسي سقياها الدم البريء. والظلم يبدأ نزوة ثم يصير هواية ثم يصير مهنة حتى يتحول من العادات والتقاليد لدى الحكّام. والبقاء فوق الأرض مشروط بمحو الآخر..أي آخر وكل الكراسي تريد التماهي بذاك الكرسي الشفيف الأزرق المتعالي. الحاكم متورط في النهاية بكرسيه. ولا يريد رؤية أي كرسي سواه.. والهند آنذاك مهلكة الفاتحين منهم الإسكندر المقدوني وسميراميس الآشورية.. التي قررت استعمار الهند وضمها لمستعمراتها ولم يردعها كلام المرسل بيد رسوله، وحاولت تصنيع أفيال بجِمالها (فأمرت بتغطية مائة ألف جمل بجلود الثيران السوداء المخيطة لتقلد الفيلة وقد أعتلى كل حيوان محارب وبنت ٢٠٠٠ مركب لتشق الهند وأخذت أجزاءها وحزمتها على ظهور الجمال..) وفي البدء نجحت الخطة، فقد أسر جيش سميراميس آلاف الأسارى وغرّقت ألف مركب هندي في نهر

الهندوس – ننقل ذلك على ذمة إعلام المؤرخ آنذاك – ليت سميراميس اكتفت بهذا القدر من النصر..بل طغت / طمحت بالمزيد خصوصا وهي ترى الجيش الهندي يتقهقر أمام الفيلة المزيفة.. لكن حين انكشف الزيف تقدم الجيش وانكسر جيش سميراميس. وهنا سيلفق لنا المؤرخ رمية ملكية (أصابها سهم الملك الهندي، ولم يعبر خلفها لتحذير كهانه من العبور..) انكسر حلم الملكة تصالح الطرفان وتبادلا الأسرى لكن الانكسار الأكبر استقبلها على حدود مملكتها. فقد ثأر ولدها لوالده الملك المغدور.. وهنا ستنتقل سميراميس من البشر الفانين إلى سجل الخالدين.. فقد فضلت الانتحار.. لتتحرر أخيرا من رسوخ الكرسي الدامي واستعادت صحبتها مع حارسات طفولتها الحمامات بعد اثنين وأربعين عاما من الفتوحات والحدائق والسيف واللهو.

العلاّمة طه باقر وسميراميس

نتوقف عند العلاّمة في ص٥٥٥ من كتابهِ الضروري تاريخيا لنا نحن أهل العراق بالأخص (مُقدمة في تاريخ الحضارات القديمة)، وهو يتناول لحظة تاريخية مأزومة يطلق عليها العنوان الفرعي التالي (ضعف الدولة الآشورية) حيث دام هذا الضعف زهاء الثمانين عاماً. وفيها تم قمع ثورة اشتعلت في سبع وعشرين مدينة، وبالنسبة لي كقارئ عراقي هذه الثورة تذكرني بانتفاضة

١٩٩١ التي أضرمتها مدينتي البصرة وانتقلت شرارتها لمحافظات الجنوب والوسط، وكالعادة بالتواطؤ تخمد الثورات، لكن الحرب الأهلية واصلت دوامها الكامل وبلا استراحة محارب وبصيغة حروب أهلية، فاغتنمت الفرصة مدن كثيرة ونبذت تبعيتها للملوك الآشوريين.. كما تخلصت في ١٩٩١ كوردستان أما سبب الثورة المغدورة والحرب الأهلية فهو أهوال استبداد (كبار الموظفين والنبلاء وحكّام الإقليم واستغلالهم السكان الأحرار ولاسيما الفلاحين والمزارعين../ ٥٥٧/ طه باقر) يومها كان الملك هو(شمسي – أدد) الخامس وقد حكم أثني عشر عاماً وحاول جاهدا لإعادة الهيبة الآشورية في الأقاليم ولكن..لا يصلح العطار ما أفسدته التراتبيات الطبقية المترامية. وهنا سيتمازج الخيالي بالفساد الحكومي. هنا ستكون المصلحة لكل الأوضاع هي زوجة الملك والوصية عليه وهي التي ستكون الملكة الآشورية (سمو – رمات) وهي الملكة الأسطورية التي عرفناها باسم (سميراميس).. ومثلما نسبوا كل الحكايات على لسان شهرزاد، فقد نسبوا كل أفعال الملوك إلى سميراميس وهكذا صارت رمزا وعنوانا لأمجاد حضارة وادي الرافدين. ولعل أشهر أسطورة نسجت حول شخصيتها، الأسطورة التي تجعلها ابنةإلهة نصفها سمكة ونصفها الآخر حمامة. كانت تعبد في مدينة عسقلان، وبعد أن وضعت ابنتها سميراميس، تخلت عنها فأخذها الحمام ورباها ثم عثر عليها

كبير رعاة الملك فتولى... ألخ وهنا نتساءل مع العلاّمة طه باقر: إذا صحت المطابقة ما بين الملكة الآشورية التاريخية (سمو – رمات) وبين سميراميس فكيف تجمعت تلك الشهرة الضخمة العجيبة حول تلك الملكة الآشورية التي لم تحكم سوى بضعة سنوات بصفتها وصية على ابنها الصغير.؟ وهنا يرتكز العلاّمة باقر على رأي أحد الباحثين وهو الأستاذ كوسينس وتحديداً على ورقته البحثية في المؤتمر السادس لعلماء الآثار المنعقد في باريس ١٩٥٦ والورقة البحثية تؤكد أن هيرودتس هو أقدم مَن دوّن أسطورة سميراميس وكان قد استقى معلوماته من كهنة بابل، وبما أن سميراميس زوجة الملك الآشوري (شمسي – أدد) فإن اعتزاز كهنة بابل بأميرتهم البابلية حملهم على المبالغة في شهرتها وأعمالها التي رووها لهيرودس.. وسيقوم هيرودتس بتطعيم الطبخة التاريخية بنكهاتٍ من توابل مخيلته.. وهكذا اتسع التخييل السردي وتم تذويب الميداني الأرضي وها هي أرمينيا القصية جدا عن بابل تدفقت فيها سميراميس من خلال نهر أطلق عليه سميراميس./ ٥٥٩ (بتصرف عن طه باقر).

ق٩: حتشبسُوت ١٥٠٠ ق.م

ليديا هويت فارمر وأنا

مع السطر الأوّل من الفصل المخصص للملكة حتشبسوت، في كتابها (أشهر ملكات التاريخ) تقول المؤلفة ليديا هويت فارمر (أهم ما كان يقدسه المصريون إبان عظمتهم هو ملوكهم، يبالغون في الحرص على صيانة شخصياتهم حرصهم على أقدس آلهتهم..) المقبوس من قولها يجعلني أراها تتكلم بالإطلاق ومن مكان عال تنظر إلى المشهد، كأنها على جبل،أو تنظر إلى الأرض من نافذة طائرة.. وسؤالي إلى النص المقبوس: مَن تخلص من الفرعون إخناتون؟ ومن فشلت محاولتها في اغتيال الفرعون رمسيس الثالث؟ أليست هي زوجته الثانية (تي) من أجل أن يكون ابنها بنتاؤر هو الفرعون الرابع – وسيكون موضوعنا الأخير في هذا الكتاب –

إن المصرين آنذاك مثل سواهم من الشعوب النظر إلى الحاكم يكون مبأراً من خلال الدين. والفرعون نفسه يلّفق بعدا دينيا ضمن محدد الصورة فإن سلالة الحاكم جذورها في السماء وليس في الأرض!! من خلال هذا التلفيق السردي يبثون الوعي الجماهيري

الزائف. لكن هذا النظام من أنظمة السلوك الجمعي لم ينجح لا في مصر ولا في العراق ولا في أي بقعة. ثم تقول المؤلفة ليديا هويت فارمر (وحدثت في أوائل عهد الأسرة الثامنة عشرة أزمة في أبناء الفراعنة، ولعلها ناجمة عن استمرار الحرب بين المصريين وجماعة الآسيويين الذين أغاروا على بلاد النيل.../ ١٥) ونفس الخطأ نجده لدى المؤلفة التي أمضت سنوات من عمرها في مصر، أعني الباحثة ونفرد هولمز، في كتابها (كانت ملكة على مصر) وفيه تتناول سيرة أربع ملكات مصريات منهن حتشبسوت حيث تقول عن نفس الفترة التي عاشتها حتشبسوت الكلام التالي (ازدهرت تلك المملكة العظيمة التي أنشأها بناة الأهرام وهي التي نسميها،،الدولة القديمة،، والتي كانت عاصمتها في منف بالقرب من القاهرة، العاصمة الحديثة الآن. ولكن الحروب والثورات أدت إلى زوالها منذ عهد بعيد. وتلتها الدولة الوسطى. ولكنها تحطمت بدورها على أيدي المغيرين القادمين من آسيا (١) والذين سماهم المصريون الهكسوس وأسماهم البعض ملوك الرعاة، وبعد مائتي عام، من حكمهم البغيض طردهم الأمير الطيبي المحارب،،أحمس الأول،، مؤسس الأسرة الفرعونية الجديدة المعرفة باسم الأسرة الثامنة عشرة/ ١٩/ ونفرد هولمز/ كانت ملكة على مصر) في حاشية الصفحة نفسها يصحح الخطأ الدكتور أحمد فخري أثناء مراجعة الكتاب قبل الطبع ويقول الكلام التالي (في الأصل

الانجليزي،،آسيا الصغرى،، وهو خطأ لأن الهكسوس خليط من بعض القبائل الهندو – أوربية التي هاجرت من أواسط..... واختلطوا بمن كانوا في غربي آسيا في ذلك الوقت من شعوب سامية، ثم تقدم هذا الخليط من الأقوام إلى الحدود المصرية / ١٩).

وعن الهكسوس تدور رواية (كفاح طيبة) للروائي العربي نجيب محفوظ وعن الهكسوس في (مأساة النرجس ملهاة الفضة) يقول الشاعر محمود درويش: (هَبّتْ رياح الخيل، والهكسوس هبُّوا والتتار مُقنّعينَ وسافرينَ . خلّدوا أسماهم بالرمح أو بالمنجنيق... وسافروا لم يحرموا إبريل مِن عادتهِ ، يلدُ الزهور من الصخور ولزهرة الليمون أجراسٌ، ولم يُصب التُرابُ بأي سوءٍ – أي سوءٍ بعدهم. والأرض تورث كاللغة. هبّت رياحُ الخيل وانطفأت رياحُ الخيل، وانبثق الشعير من الشعير).. لتمعن في الإحالة التكرارية للجملة الفعلية (هبّت رياح الخيل) (هبّت الرياح) ثم (وانطفأت رياح الخيل).. في حوار صحفي مع نجيب محفوظ بعد فوز روايته (كفاح طيبة) بجائزة الدولة في وقت إصدارها استدعاه الأديب أحمد أمين وسأله: في تلك الفترة لا توجد عربة تجرها الخيل. فكان جواب نجيب محفوظ أنه روائي وليس مؤرخا ووجود العربة بخيول يزيد المشهد الملكي مهابة. هنا تزودنا الباحثة في التاريخ الفرعوني ونفرد هولمز بالمعلومة التاريخية الذهبية وهي

(لقد ذهب الهكسوس مخلفين وراءهم ذكرى لا تنسى من الكراهية والمرارة، ولكنهم أيضا تركوا لمصر شيئا يشكرون عليه وهو معرفة الحصان وهو حيوان لم يكن معروفاً للمصريين حتى وقت مجيء الهكسوس../ ٢٠/ ونفرند هولمز/ كانت ملكة على مصر).

بعد أحمس الأول الذي هزم الهكسوس وطاردهم في عقر دارهم، تلاه الفرعون تحوتمس الأول، والد حتشبسوت وستكون لجيش تحوتمس الأول قوة حصانية هائلة (استطاع بما كان لديه من أحسن الجياد في العالم المشدودة إلى عربات حربية خفيفة، وبما لديه من رماة السهام المشهورين من أبناء وادي النيل، استطاع أن يشن الحرب على أعداء مصر في عقر ديارهم وأن يطاردهم شمالا وغربا حتى ضفاف الفرات، مدعيا ملكية الأقطار التي أخضعها..) في القرن السابع قبل الميلاد ستصل جياد وعربات وجحافل آشورية بقيادة الملك الآشوري آشور بانيبال وتغزو مصر ويهدم ويحرق الكثير من مباني طيبة.

ورطة الباحثة ونفرند هولمز

تتورط المؤلفة الباحثة ونفرد هولمز، حين تكتب عن آشور بانيبال الكلام التالي (أن القصر الملكي في طيبة،لم يعد له وجود إذ هدمه في القرن السابع قبل الميلاد الملك الآشوري آشور بانيبال عندما غزا مصر/٢٤).. إن المؤلفة لا تحسب حساب الفاصلة

الزمنية بين بناء القصر الملكي في طيبة وغزوة الملك الآشوري آشور بانيبال: عهد الأسرة الثانية عشر كان في ١٥٠٠ قبل الميلاد وغزوة آشور بانيبال في القرن السابع قبل الميلاد!! والقصر الفرعوني من الطوب اللبن!! هنا أتساءل هل المؤلفة وينفرد هولمز روائية؟ أم مؤرخة؟ إذا كانت روائية فالخيال بجرعات معينة مسموحة لها. لكنها مؤرخة، تشغل خيالها لتملأ فراغات نصها. فهي تحرك الساكن أعني تتأمل النقوش وتحرك الشخوص وهذا يجوز روائيا فقط وها هي تعلن لنا عن ذلك في قولها (لقد عرفنا كل هذه التفاصيل وغيرها من الصور والنقوش البارزة التي يرجع تاريخها إلى ذلك العصر/٢٣) هنا تقوم بتدوير السرد أعني تحويل ما تسرده النقوش بالألوان إلى سرد بالكلمات.

ق١٠: الملكات العربيات قبل الإسلام

لا الظلَ ولا الصدى ولا المرآة: هذه المفردات لا تستقل بذاتها فهي محض فروع تومئ لأصولها حين نستعملها كاستعارات عن المرأة. والحق أقول إذا كان العالم نصا سرديا، فإن المرأة (ثريا النص).. ولا يمكن لمجتمع أن يتطور ونصفه في المطبخ أو يلهو تقنياً أو عرضةً لتعنيف أسري مستمر: تنبجس منه تعنيفات أشد شراسة: اقتصاديا وسياسيا ودينيا واجتماعياً.. إنالخبرات التاريخية المتراكمة جعلت الفهم النسوي متأكداً: (إن الأبوية بناء اجتماعي لا مؤسسة طبيعية دائمة، لذلك فإن اقتران النسوية بالثيولوجيا في مشغل معرفي واحد يقود بالضرورة إلى الكشف عن البنى الأبوية التي عملت على إقصاء المرأة من مختلف الدوائر الدينية، ودوائر المعرفة والسلطة. وما الكشف عن آليات التمييز بين الرجال والنساء في تاريخ الأديان إلاّ تحرر من هذه البنى وتأسيس لبنى جديدة قائمة على المساواة بين الجنسين دون إقصاء أو تهميش.../ ٢٩٩/ ريحانة بو زقندة،، إمامة النساء: شوق إلى كسر الطوق/ فصل من كتاب (النساء والمعرفة والسلطة/ مؤلف جماعي تحت إشراف آمال قرامي).

حريم لغوي

من أبوية النسق الثلاثي وبقوة تراكم يستولد التعنيف اللغوي مؤثلا (الحريم اللغوي) حيث تمكن الفقه النحوي أن ينزلق إلى التمييز العنفي التفاضلي مابين شقيّ النفس الإنسانية الواحدة، محتجا بما لا دليل عليه في أولى المصادر بالاحتجاج وأصدقها خبراً (القرآن) وفق ما ورد في سورة النساء (خلقكم مِن نفسٍ واحدةٍ وخَلَقَ مِنها زوجها).. لذا فإن الأحكام النحويّة في مسائل التأنيث والتذكير المنطلق الأنسب لتعيين واحدة من أبرز خلفيات التهميش القهري اللاحق بالمؤنث في واقع الكتابة الإبداعية/ يسرى مقدّم/ الحريم اللغوي/ شركة المطبوعات للتوزيع والنشر/ بيروت/ط١/ ٢٠١٠

(*)

يبدو أن العصور القديمة أكثر تقدميةً في التعامل مع النسوية أحيانا وهنا نقترض من الباحثة الدكتورة هتون أجواد، ونقول معها (إن مفردة ومصطلح،، ملكة،، ظهر أول ما ظهر في بلاد الرافدين القديمة، ليشير إلى الربات أو النساء الحاكمات، وهو المصطلح نفسه الذي أطلقه الآشوريون على،، حاكمات،، الجزيرة العربية في حوليات الصراع والحروب المختلفة بين الطرفين. وأطلق لقب،، ملكة،، كذلك على زوجات الملوك اللائي لعبت كثيرات منهن أدواراً مهمة في فترات تاريخية مختلفة حسب ما سمحت به قوة شخصياتهن أو الظروف السياسية آنذاك التي تتيح

لهن أن يحكمن نيابة عن الملوك أو عن أبنائهن أو بمرافقة أزواجهن/ ١٥/ هتونأجواد/ ملكات العرب في الألف الأول قبل الفترة المعاصرة/ مجلة الخليج للتاريخ والآثار/ العدد السابع/ ٢٠١٢) ثم تغادر الباحثة هتون منصة التنظير إلى منصة التطبيق نقلاً عن حالة تؤكد ما ذكرته: وعند أخذ مثال مملكة وبالتحديد التي تعود إلى الألف الثالثة ق.م. نجد أن الملك والملكة قد دفنا جنباً إلى جنب في محيط من التضحيات البشرية الجماعية التي ملأت المقبرة. ولا يمكن تفسير هذه الطقوس بأقل من كونها تأليها للزوج الملكي وربما لتمثلهما بالزوج الإلهي المعروف في العقيدة السومرية..)

سلاحهن من حرير

لكن...

كلما تقدمنا زمنيا كلما اجترحَ العقل الذكري أطواقا لكي تتسع خطواته وتدحس الأنثى في حيز، مما جعلَ الأنثى تتفنن في أسلحتها المخملية، فصيّرت الحرير من أسلحة الكلام. مادام الدين ذكوريا بخصوص السلطة، ستلجأ الأنثى إلى مرتبة الأول المكرر تستعمل كلمة سلطانة عوضا عن ملكة، وتقف خلف الكاميرا ليملأ الرجل شاشة العرض: هكذا قبضت على مقاليد الحكم

(*)

بطش الذكورة

يبدو الحكم الآشوري، لا يعزفُ إلاّ على السيف والرمح والنار، ولا يرى التضاريس إلاّ صنفين معسكرات تدريب وسوح قتال، أما الحيوان والطير والمعدن فلا يحسن شراءها. بل تأتيه كرهاً ولا كتابة في آشور سوى كتابة الدم المسفوك في الأرضين، والكاتب لا صوت له فالمتكلم من خلال الكاتب هو الملك بضمير الأنا المفخمة/ المفخخة: أنا سنحاريب..أنا إسرحدون..أنا آشور بانيبال: ملك الجهات الأربع.. وهذا جائز وعلى القارئ أن لا يبتسم في وجه ما أقول.. نعم ذلك يجوز فالسلطة يومها في تشكيلها الأول/ تشكيلها البكر: وهي مزيج من التعالي المزودج: أعني التعالي المجتمعي الذي يستحلب من ضروع السماء: إذن هي سلطة الأرستقراطي الثيو قراطي.. وهذه عينة آشورية، مازالت الحكومة تستعملها للآن (بأمر الآلهة آشور وسين وشمش وأداد ونابو وعشتار نينوي ملكة كيدمور وعشتار أربيل وأورتا ونيرجال نوسكو: جمعت قوتي وسلكت الطريق المستقيم وعبرت الجيوش نهري دجلة والفرات بسلام وهما في أوج فيضانهما وسارت الجيوش في طريق نائية وتسلقت جبالا عالية، واخترقت مناطق ذات غابات كثيفة.. أقمت معسكري إلى جانب آبار المياه../ ٦١/ مملكة قيدار/ هند بنت محمد التركي).. أو المتقنع بالثيوقراطية ليوهم جياع الناس وليس سوق التجار الرابضين على طريق الحرير

وطريق البخور.. والحروب دائما تتقنع بالواجب الديني لتصون / تستولي على مفاتيح التجارة والاقتصاد والمعرفة.أما الدين الحقيقي. على سبيل المثال للإمبراطورية الآشورية: فهو الغزو الدءوب في كل الجهات. الدولة هي الجيش الذي لا يتقن سوى الهجوم الدائم: الفن جداريات طائرة بثيران مجنحة، أقواس ونشابات متأهبة للرمي وآلات تعذيب يقشعر منها قلوب أقسى القساة، وهذا التوصيف يؤكد الكلام المثبّت على لسان الملك الآشوري في النص رقم ١٤ – فرار يشع وأسره وعقابه، نقتبس منه هذا المشهد الأكشن (ثقبتُ فكيه برمح حاد سلاحي الخاص بأن وضعت يديّ عليه،تلك اليدان اللتان تلقيتهما لأهزم من يخاصمني. ووضعت الحلقة في فكه وسلسلة كلب حول رقبته وجعلته يحرس مزلاج البوابة الشرقية في مدينة نينوى المسماة (بوابة الشعوب ذات العروش) ولأجل تعظيم مجد آشور والآلهة العظيمة أسيادي، أشفقت عليه وأبقيته حيا)!! يا له من حاكم مقزز،يسوق جيوشه كأنما يعودون من رحلة صيد!! لا يوجد قتلى من الآشوريين ولا خسائر بالمعدات، ويخدع شعبه هذا الملك الدعي بأنه مجرد منفذ لآوامر الالهة..!! هذه النسخة لم تتقاعد لحد الآن في المنطقة العربية.

سطوع ملكات عربيات قبل الإسلام

التاريخ يجنّس ذكوريا والمرأة: قد تكون أحيانا ذات مؤثرية، لكن الأول هو الرجل وليس التالي بل ما بعد التالي تكون المرأة: وما قلته لا تعود براءة اختراع لي، بل للسيادة الذكورية المطلقة، فمن أين وكيف بزغت هذه الكوكبة الأنثوية المالكة للحكم وتركت ظلالها الخضر؟ وكيف تحولت من الكواكب الخنس؟ ومن المتسبب في هذه الخناسة؟ المرأة الضديد؟ أم فحولة الكرسي؟ وظهور نساء عربيات ملكات قولا وفعلا هل يشكل ظاهرة عربية؟ ستتضوع نزهتنا التاريخية ببخورهن وكرنفالات ملابسهن وما يتأرج من حضورهن التاريخي من عطورٍ لا مثيل لها في العطور.

(*)

الملكة ماوية

بدءاً.. حتى لا يلتبس القصد، بسبب تكرار الاسم، أن ماوية التي نتحدث عنها هنا:هي ليست ماوية التي كانت زوجة الحارث أبو شمر،أو الحارث الرابع من قبيلة كندة..من خلال كتابتي عن الملكات الأوغارتيات،أرى أن (ماوية) تتموضع عائليا ضمن المملكة الأوغاريتية ولا يستبعد أن تكون من سلالة ملكية / ينظر إلى كتاب علي القيّم (المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة وهي من ضحايا الغزو آنذاك، ومن غنائم غزوة عربية على مدينة في

مشارف الصحراء، أشتراها شيخ القبيلة فتزوجها. ونتوقف عند معلومة يبثها لنا الأستاذ الباحث العراقي (فؤاد يوسف قزانجي) في قوله التالي (ويبدو أنها تعلمت الفروسية والقتال) في المعلومة إيماءة تشير إلى أن ماوية من محتد كريم وما يؤكد رأينا هو قول الباحث نفسه (ولما توفي زوجها بعد فترة قصيرة أصبحت ماوية ملكة على القبيلة) تتساءل قراءتي كيف صارت ملكة؟ أين رجال القبيلة وما هو موقفهم من ذلك؟ هنا يؤكد باحث آخر كلين بورسك (ظهر خلال وجود العرب في البراري السورية والفلسطينية عدة ملكات أو أميرات عربيات، كن يقاتلن ويغزون مع رجال القبيلة، ويبدو أن ذلك أمراً مألوفا قبل الإسلام..)..إذن ماوية كانت لها منزلة عالية عند قبيلة زوجها في حياته، وربما كانت تشارك زوجها في الحكم..

(*)

بعد وفاة زوجها ماوية تجهز حملة عسكرية وتحتل أجزاء من براري بلاد الشام وتحديدا براري سوريا وفلسطين ولا ترتد،تصطدم بجيش الرومان وتقاتلهم في ٣٤٣ ميلادي ولا يتوقف القتال إلاّ في مصالحة بين الطرفين في العام ٣٧٦ ميلادي. ومن نتائج المصالحة مطالبتها بالراهب (موسى) ليكون أسقفا لقبيلتها وتم لها ذلك ثم زوجت ابنتها إلى ضابط روماني يدعى فكتور هكذا تم التحالف بين الملكة ماوية وبين الرومان،فقد أرسلت كتائب من

جيشها لمساندة الرومان في قتالهم ضد هجمات الغوط على لقسطنطينية.

ماوية وزنوبيا

هل ماوية هي زنوبيا بلا أخطاء: أعني ماوية نسخة منقّحة من أخطاء زنوبيا. ماوية: هي الملكة: مافيا في اللغات اللاتينية، هي الملكة / القائدة للقبائل العربية في جنوب الشام، تأملت في أخطاء الملكة زنوبيا، فلم تحلم حلما واسعا صاهلا رامحا متحديا مستقرا متنقلا. ماوية لا تريد خريطة بسعة مصر والشام والأناضول.لأن الخريطة تستوجب طاقات إدارية لا قدرة للقبائل العربية في الشام على نسج شبكتها. بين ماوية وزنوبيا قرن من الدروس والأخطاء والمحن. ماوية تريد أعترافاً رومانياً باستقلال مملكتها مع وجود ضمانات تكفل الحرية الكاملة لمواطنيها بعيداً عن جبروت روما وسيوفها. ويتخلص الاقتصاد الشامي من تحويله علفا لخيول روما وذهبا للأمبراطور وحاشيته إذن الاستقلال العربي يخلص العرب من مزاج الباباوات المتعالي على القبائل العربية..

ماوية: الكتلة المتنقلة

خطورتها على الرومان، لا وجود للخطأ لديها، فالخطأ يحوّل الخاطىء إلى هدف إستراتيجي مركوز وكان زنوبيا هكذا. لكن

ماوية عرفت كيف تسوس القبائل العربية: (من مجموعات بشرية منفصلة إلى كتلة منظمة قوية تمتلك القدرة على التأثير في مجريات الأحداث من حولها ولا تبقى في وضعية التلقي السلبي لقرارات الآخرين التي غالبا ما تكون في غير صالح العرب/ سامح المحاريق/ الملكة ماوية: نموذج للرؤية الاستراتيجية/ صحيفة الرأي عمان/ ٢٦/ ٧/ ٢٠١٢) والملكة ماوية لم تستعمل جيشا نظاميا في مقاتلة الرومان، نشطّت مهارتها في غارات حرب العصابات وشاركتها شخصيا في هذه الغارات العربية على الحاميات الرومانية. وكانت تحسن التفاوض مع العدو الروماني واستعان بها الرومان ولم تخذل أو تغدر.

نلاحظ أن الملكة ماوية كانت شخصية إستثنائية في حقبة الذكورة المطلقة لكن ارغمت الذكورتين: العربية والرومانية أن تتعاملان معها بالمنزلة التي تريد هي شخصيا.. وبالفعل العسكري الشجاع ضمنت الملكة العربية ماوية قوس نصرها الكبير من جنوب سوريا وبراري فلسطين وجعلت من قبيلتها العربية القوة الأساس على حدود الصحراء الشرقية المتاخمة حتى مملكة الحيرة في العراق القديم وهكذا تصاعدت مكانتها وتجاوزت منزلة التدمرية الملكة زنوبيا.. نلا حظ أن الملكتين العربيتين حاولتا بقوة السلاح والرجال الدفاع عن عروبيتهما ضد الاحتلال الروماني وبذلتا أقصى ما لديهما ولم تخذلان شعبيهما. لكن (للأمور طبيعة أقوى

من الرغبات والغضب) الملكة ماوية: لاسمها مكانة مرموقة في القرن الرابع الميلادي وفي نقوش تلك الفترة. لكن مع كل هذا النظام المعلوماتي لا نعرف إلاّ الجانب العسكري من حياة ماوية وفي الجانب العسكري تقتسم مع الملكات الكيد النسوي نعم ماوية مثل شمسي وزبيبي وسواهما من الملكات.. يعقدن اتفاقية مع الطرف الآخر، وسرعان ما ينقضن الاتفاق وهذا ما فعلته ماوية أيضا فالتحالف العربي الروماني بين ماوية والجيش الروماني سرعان ما خرقتها ماوية في العام ٣٨٣ ميلادي فهاجمها الجيش الروماني وهكذا سقطت مملكة ماوية لترتفع كوكبا في سماء التاريخ العربي. ولن يتوقف ظهور الملكات العربيات إلا بعد شروق الإسلام.

(*)

شمال غرب شبه الجزيرة العربية

هي منطقة ذات أهمية إستراتيجية ولها مقومات تميزها بيئيا وكانت معبراً تجاريا ومنفذاً لشبه الجزيرة العربية خلال الألف الأول ق.م وبسبب معايشة العرب لما يجري بين الامبراطوريات المتصارعة وتزايد المصالحة العربية المشتركة بين القبائل(أدى ذلك إلى نشوء ما يمكن أن نطلق عليه اسم (التحالفات القبلية) مما مهد إلى تفضيلهم لحياة الاستقرار على حياة الترحال،فتزايد

نفوذهم وقوتهم، ليس في مناطقهم وحسب بل تعدى ذلك إلى مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية/ هند بنت محمد التركي/ مملكة قيدار).. بمرور الزمن تشارك العرب مع سواهم في كل تفاصيل الحياة وعاشوا وتعايشوا مع سواهم وترامحوا مع سواهم وتصالحوا حيث اشترك الحاكم العربي(جنديبو) مع الملك شلمنصر الثالث في معركة قرقر عام ٨٥٣ ق.م وذكروا العرب في أسفار التوراة..

(*)

تتراجع قراءتي إلى الظهور النسوي العربي الملكي الأول وهنا نتساءل كيف ظهرت الملكات العربيات في شمال الجزيرة العربية تحديدا؟ يمكن أن يكون القرن العاشر قبل الميلاد هو البداية للملكات العربيات: وتعد الإشارة إلى ملكة سبأ في النصوص التوراتية أقدم إشارة إلى امرأة عربية في هذا الموقع المتميز، ملكة، أي حاكمة. كانت ملكة سبأ أسطورة جمال وكياسة، غرست بصمتها في التاريخ، حتى وصلنا خبرها، ومن السائد الاعتقاد بأن ملكة سبأ كانت تملك على مملكة سبأ المعروفة في جنوب الجزيرة العربية، في الألف الأول من ق.م ومتمركزة في عاصمتين: صرواح ومأرب. وهناك ملكة سبأ الحبشية فقد عرفت بالاسم **(ماكدة)** ولها تاريخ أكثر أسطورية من الملكتين التوارتية والقرآنية وتنشطر سيرتها المتأسطرة شطرين

(١) أسطورة عربية نصرانية
(٢) أسطورة حبشية نصرانية
(*)

ملكة حضر موت:

صحيح أن ظاهرة الملكات العربية انتشرت في شمال الجزيرة العربية، لكن لكل قاعة استثناء، بشهادة الأستاذة الباحثة هتون أجواد (نجد أن الإشارة الوحيدة إلى ملكة في الجنوب.إنما تأتي من حضر موت وليس من سبأ، وفي فترة متأخرة عنها من النصف الثاني من القرن الثاني إلى الثالث من الفترة المعاصرة.ونستعمل رأي الباحثة هتون للإجابة عن سسب وجود مملكة في الجنوب في ص٢٢ من بحثها حين تخبرنا (إن من الواضح أنه بعد أن نجح الآشوريون في القضاء على قوة العرب في (أدوماتو أنتقل مركزهم السياسي أي العرب، أبعد إلى جنوب حيث تيماء..)

ملك – حلك: ملكة حضر موت

ترى: هتون أجواد من خلال حفرياتها البحثية أنها لم تجد لهذه الملكة اسما في قوائم ملوك حضرموت!! ثم تستدرك الباحثة قائلة (ولكن لدينا أدلة أكثر وضوحا على شغل النساء لمواقع عامة أدنى من رئاسة الدول) حيث تتسنم المرأة منصبا متقدماً في الرتبة

السياسية العامة. ثم تستعين هتون بمحث للأستاذة نورة النعيم يبين أن المرأة اليمنية وصلت إلى تراتبيات عالية في السلطة، وهنا تضع الباحثة هتون: الأحتمالي / الممكن وتستنتج التالي (لكن الإشارات المتكررة للمناصب العامة تجعل من الأمر محتملا ولو من خلال شخصيات استثنائية أو أمهات ملوك قصر) من خلال متابعتي للحضارات الرافدانية والفرعونية والإسلامية: كثيرا ما يتم شطب أسماء ومنجزات ونبش قبوروحرق أعمال لشخصيات عظيمة وهذا الامر لا يستثني ملكة حضر موت. قد يكون الحذف من ذكورية الملك في الجنوب أو في الشمال وجائز يكون الشطب بإيعاز من الحريم الملكي. وربما سنجد مرجعا آشوريا عن دور هذه الملكة

(*)

الملكة زبيبة

هناك نساء تصدت للحكم الآشوري في زمن الملك الآشوري (تيجلات بليسر الثالث) منهن (شمسي) ملكة مملكة قيدار ،وهي ملكة بلاد العرب، وكان للحلف الآرامي دور مهم للملكة شمسي في توفير فرصتها للتمرد والامتناع عن تقديم الإتاوة للملك الآشوري.وفي النص المدوّن عن الحملات العسكرية للملك تيجلات بليسر الثالث ٧٤٥– ٦١٢ ق.م من أجل استعادة الهيمنة

الآشورية في شمال شبه الجزيرة العربية سيرد ذكر العرب مقترنا بذكر القيداريين: ويشكّل ذكر اسم الملكة زبيبة: أهمية أخرى لنص تيجلات بليسر الثالث، والأهمية تكمن في تأنيث الكرسي فلأول مرة يظهر بين أسماء حكام المنطقة اسم ملكة تتولى قيادة شعبها وتحافظ على مصالحهم، فقد اشتركت في دفع الأتاوة مع الملوك. وهذا النص للملك الآشوري هو شاهد العدل الوحيد على حكم الملكة زبيبة لمنطقة تقع في شمال بلاد العرب.. وهنا يلتبس الوقت والموضع الجغرافي. وبسبب اللبس تنشط نظرية الاحتمالات لدى الدكتورة هند بنت محمد التركي: اسم الملكة زبيبة يرد في آخر الأسماء التي وردت في النص الآشوري، ولعل ذلك تعبيرٌ عن التسلسل الجغرافي للبلدان المخضعة، فالملكة زبيبة لابد أنها كانت تحكم منطقة قريبة من بلاد الشام.. وترى الباحثة بنت محمد التركي بما أن نوع الأتاوة التي المقدمة من الملكة زبيبي لا تختلف عن الأتاوة التي قدمها الزعيم العربي جنديبو إلى الملك شلمنصر الثالث في معركة قرقر، مما يؤكد وجودهم في نفس المنطقة.. ولعل ذكر القيداريين والعرب في بداية النص و ملكهم (رصين) ثم ملكتهم (زبيبي) فمن المرجح أن (زبيبي) ملكة قيدارية بحكم وجودها في المنطقة نفسها../ ٣٦- ٣٩/ هند بنت محمد التركي/ مملكة قيدار.. وكانت الملكة زبيبي / زبيبة: ذات حضور فاعل سياسيا ومجتمعيا، وعلى المستوى العام يعكس هذا الأمر

مدى تطور المجتمع القيداري مقارنة بالمجتمعات المجاورة له آنذاك: أي أن تكون قيادة البلاد بيد امرأة: حالة استثنائية، دفاعا عن الشعب والبلاد: أسوةً بغيرها من الحكّام دفعت الأتاوة لإيقاف نفوذ بلاد آشور.. دفعت الأتاوة حرصا على النشاط التجاري في بلادها... دفعت.. لكي تتحاشى تعطيل التجارة فهذا التعطيل له مردودات مخيبة على اقتصاد مملكتها. وهكذا حافظت الملكة زبيبة على إنعاش مملكتها من خلال استمرار مرور القوافل عبر أراضيها.. وفي القوس الجغرافي نفسه أعني شمال غرب شبه الجزيرة العربية كانت هناك الملكة شمسي التي واجهت الملك الآشوري نفسه وعاصرت الملك الذي تلاه وهو سرجون الثاني. وفي البدء كانت العلاقة بين مملكة الملكة شمسي والآشوريين في تهادن تجسده الاتاوة المدفوعة من الملكة شمسي للآشوريين.. ثم انتقلت الى النقيض فاشتبك الطرفان بالصهيل والسيف والسهام.. وكانت العلاقة بين الملكة شمسي والحكم الآشوري تتسم بالمراوغة من قبل الملكة حينا تدفع الأتاوة ثم سرعان ما تحنث وتشهر السيوف ضد حكّام آشور، وتدخل طرفا حيويا في حلف عسكري ضد تيجلات بليسر الثالث.. لكن بليسر الثالث ينتصر فتعود إلى دفع الاتاوة، وحتى يتخلص الملك الآشوري من تقلبات الملكة عيّن عليها مشرفا سياسيا.. وهكذا استمرت مثل بقية الممالك في دفع الجزية للإمبراطورية الآشورية.. وترى الباحثة هند بنت محمد

التركي (في ضوء الأحداث التاريخية يتضح أن الملكتين (زبيبي) و(شمسي) تمتعتا بحنكة سياسية وقدرة اقتصادية تعكس ما كانت عليه منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية من التقدم السياسي والاقتصادي خلال الألف الأول ق.م وتوضيح دور وأهمية قيدار في تلك الفترة التاريخية../٤١) علينا أن نتوقف عند قراءة من جانب واحد، أعني نحن مع واحدية المعلومات الآشورية، لم نحصل لحد الآن على معلومات من حفريات عربية لتلك الأحداث المدوية، وبشهادة الباحثة هتون أجواد (من الإشكالات الأخرى في حال ملكات أدومانو مثلاً أن مصادرنا عنهن تصلنا من عدوهن وبعد انتصاره عليهن. فإلى أي حد يمكننا أن نثق في رواية المنتصر؟/ ٢١/ هتون أجواد) بالنسبة للملكات العربيات قبل الإسلام لم نعرف لحد الآن سوى الأقل من القليل عن الملكتين: زبيبة وشمس أما سواهما من الملكات فليس لدينا سوى الأقل من ذلك عنهن:

الملكات: عطية / تبؤة / عادية / يشع والكاهنة تيملخونو/ ص٢٤هتون أجواد

الملكة شمسي

شمسي.. أو سمسي أو شمسة: ملكة عربية سادت في الشرق الأدنى القديم في القرن الثامن قبل الميلاد، تسنمت المُلك بعد

الملكة زبيبة، والأصح بعد تنازل زبيبة!! من المؤكد هو أرغام على التنازل بأوامر من الملك سنحاريب، لأن شمسي من التابعات لآشور، وأقسمست شمسي بالإلهة الشمس ستكون مخلصة لأشور. حكمت عشرين عاماً. للأسف لم يعثر للآن على وثائق من داخل مملكة الملكة شمسي، لكن يرد ذكرها في مدونات الملك سنحاريب، فتصفها الألواح الآشورية: شمسي حاكمة جريئة بما يكفي لمواجهة الملوك الآشوريين..

كانت ضمن الحلف الآرامي بقيادة راخيان دمشق التي يضم عدة ممالك لمحاربة الملك الأشوري تغلات بلاصر الثالث (٧٤٥- ٧٢٧ ق.م) وقد أنتصر الملك الآشوري على الحلف بأجمعه المناهض للآشوريين في شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وأنهزمت الملكة شمسي وأخذ الاشوريين العديد من الأسرى، وغنموا أكثر من تلاثين ألفا من الأبل وعشرين ألف من الثيران وخمسين ألف كيس من أنواع البتوابل لمذابح ألهة آشور.وبعد هزيمتها والقاء القبض عليها أعيد إلى منصبها الملكي: كذا تقتضي المصلحة الآشورية لأن لهذه الملكة سطوة عربية على القبائل ومن خلالها طلب حكام آشور من الممالك السبع دفع الجزية لقاء حماية قوافل الممالك وهي: ماسا، تيما، سابا، هايايا، بادانا، حانيا واديبيعلو: وكانت الجزية تتكون من الذهب والفضة والأبل والنياق والبخور. وفي السياق نفسه تؤكد الباحثة الأستاذة

الدكتورة هند بنت محمد التركي: أن الملكة شمسي تعرضت لضغط السياسة التوسعية الآشورية وإجبارها على دفع أتاوة مقررة حيث اضطرت الملكة شمسي ملكة قيدار والعديد من القبائل التي تقطن في شمال غرب الجزيرة العربية وكان الحلف الآرامي بقيادة الملك برهدد الثاني أن تدفع الأتاوات للإمبراطورية الآشورية وتعترف بالسيادة الآشورية من أجل حماية مصالحها الاقتصادية، واشتدت قبضة الآشوريين أثناء حكم (شلمنصر الثالث/ ٨٥٨-٨٢٥ ق.م) ومن جهة ثانية استطاع الآراميون توحيد جهودهم ومواجهة الآشوريين حتى يتخلصوا من هيمنة السلطة الآشورية. والحرب بين الآراميين والآشوريين، وكذلك تحالفات الآراميين.. كل ذلك لأسباب اقتصادية تتجسد بالقوافل التجارية القادمة من الجنوب إلى الشمال والمتجهة إلى بلاد الرافدين../ ص١١ مملكة قيدار/ د. هند بنت محمد التركي

الملك ياتعة (٧١٦- ٧٠٣ ق.م)

لم تحكم أكثر من ثلاث عشرة سنة سار على نهج الملكات السابقات، لكن الآن لم يعرف عن منجزاتها سوى القليل شاركت مملكتها من خلال أخيها (بسكانو) في الثورة التي أضرمها ملك بابل مردوخ ضد الملك الآشوري سنحاريب

وقد كان بسكانو ضمن أسرى سنحاريب وموقف الملكة ياتعة

لم يرد ذكره، كأنها تمردت من خلال أخيها ضد أحتكار الملك الآشوري لطرق القوافل وتحكم الملك بحيوات شعوب المنطقة.. في ألواح آشور يدون سنحاريب أن بسكانو من أسراه ويطلق على أخته (ملكة العرب) وتؤكد الباحثة هتون أجواد(وتبدو شخصية يانعة باهتة وقد تكرس الدور السياسي والعسكري لأخيها بسكانو) هل نستنتج أن الملكة كانت محض واجهة أنثوية للسلطة؟ وأن الآمر الناهي هو بسكانو. وإذا كان أخوها قد شارك بالثورة ضد سنحاريب وأنه وقع بالآسر، فأنها الملكة أسوة بالملكات العربيات ستهرب إلى الصحراء:!! هذا الكلام ذكوري وللذكورة تنتسب كتابة التاريخ، قلما نجد امرأة مؤرخة آنذاك وحتى الآن أعني نسبت المؤرخات ضئيلة جدا. ثم تخبرنا الباحثة هتون أجواد أن قصة هذه الملكة (تتداخل مع تلك الخاصة بملكات عربيات أخر..) من هذا الكلام يمكن أن نرفض هروب الملكة وكذلك نرفض ضعف دورها... وبشهادة الباحثة هتون أجواد (لقد بقيت هؤلاء الملكات علامة محيرة في تاريخ يختفي فيه ذكر النساء القائدات لقرون بعد ذلك ثم يظهر ويغيب دون مقدمات... ومازلنا لا نتوافر على مادة أثرية تكفي لتغطي مساحات الجزيرة العربية وكتاباتها بعد،وإن وقعت الهيئة العامة للسياحة والآثار السعودية على كثير من اتفاقيات التنقيب عن الآثار مع فرق بحثية عالمية في (٢٠١١-٢- ١٢) هذا الكلام كان في التاريخ المثبت هنا والآن بعد قرابة

عشر سنوات أن هناك كشوفات جديدة حول الملكات العربية وحولت معالم حضارية عربية أخرى

الكاهنة الملكة تيعلخونو

فترة حكمها غير مؤكدة هنا ك مَن يرى أنها حكمت أربع عشرة سنة وهي أيضا كاهنة لمعبودة عربية. عاصرت الحملة العسكرية لسنحاريب وجاء في ألواح سنحاريب (تيملخونو ملكة العرب في وسط الصحراء..) وكالعادة المؤرخ الذكر يثبت هروب الملكة الكاهنة تيملخونو وملك بلاد العرب حزائيل، لانعرف لها منجزات لكننا سنعرف مصيرها حين وقعت في الأسر مِن قبل سنحاريب وما نعرفه عنها ليس من طرفها أو من طرف مؤرخ عربي بل كل ما نعرفه عنها وعنهن من خلال الملك المنتصر سنحاريب أو ولده إسرحدون أو أحفاده ومع الملكة الكاهنة في الأسر إحدى الأميرات العربيات على الأرجح: ولية العهد تبوؤة

وفي نص آخر – على عهدة الباحثة الأستاذة هتون أجواد (تبدو الملكة الكاهنة تيعلخونو غاضبة على حزائيل وقومها اذا انها أعلنت أنها لن تقطن مع أهلها في بلاد العرب بعد الآن وأنتقلت إلى آشور. كانت غاضبة على حزائيل ملك بلاد العرب.. من غير الواضح سبب هذا الموقف وهل هو مرتبط بثورة بابل ومشاركة العرب فيها واعتراض الكاهنة عليها لما نتج عنها من

غضبة عنيفة وانتقام رهيب من سناحريب كانت ذروته أسره لتماثيل الآلهة ونقلهم إلى آشور. أم أسباب أخرى تتصل بتدخل حزائيل في اتخاذ قرارات مصيرية ربما دون استشاراتها أو غير ذلك /٢٨/ هتون أجواد / ملكات العرب في الألف الأول قبل الفترة المعاصرة

تبوؤة/ عطية

وقعت في الأسر مع الملكة شمسي وحضيت بعيش رغيد في القصر الآشوري للملك سنحاريب مكثت في القصر عشر سنين، وحين تولى الحكم الملك إسرحدون نصبها ملكة على بلاد العرب وأرسل معها تماثيل آلهة أهلها التي أسرّها سنحاريب في غزوته كما قام إسرحدون وأستبدل حزائيل بأبنه يثع ونصبه على عرش أبيه.. تستدرك الباحثة هتون أجواد قائلةً (ويبدو أن تبوؤة لم تتول المُلك وإنما كانت على الأرجح كاهنة عليا خاصة وأنها أعيد إلى بلادها مع تماثيل آلتهها./ ٣٢ ثم تستند على البينة التالية(على الأرجح أن هذه المعركة هي التي خلدت على جدران قصر آشور بانيبال بنينوى (صورة معركة العرب) وأن عادية هي الملكة الأسيرة التي تصورها الجدارية الآشورية الشهيرة) لكن حين نستعين بالصفحة١٠٥ من كتاب (مملكة قيدار) للباحثة الأستاذة هند بنت محمد التركي يختلف الاسم (أما عطية والتي سميت في نصوص

آشور بانيبال بعطية ملكة بلاد العرب. فلابد أنها سميت بذلك لكونها زوجة يثع، أو لأنها كاهنة على قومها مثلها مثل تعلخونو فقد هزمها آشور بانيبال شر هزيمة)..

(*)

من خلال استقراء للمكتوب التاريخي عن الملكات العربية قبل الإسلام يتضح لنا يتزامن سطوعهن في العصور الأولى من نهضتهن للمملكة، ثم بسبب الحروب والتحالفات مع الملوك والتشارك في الانتفاضات والتمردات والثورات ضد الامبراطورية الآشورية والرومانية وبسبب سقوط الملكات في براثن الأسر وما يتعرضن إليه.... بدأ يتضاءل دورهن وربما السبب الآخر هو غياب التعاضد بين الملوك والملكات العربيات وأن تحالفتهما ضد الامبراطورية الآشورية بسبب مصالح مشتركة بين الملوك والملكات العربيات

(*)

الملكة اللحيانية

قطع تاريخي للنسوية وسيادة ذكورية بسعة ثلاثة قرون ثم تسطع ملكة عربية. البينة الوحيدة على ظهورها: نقش لحياني فريد ينسب إلى الملكة اللحيانية التي سكنت ددان – العلا وأسست مملكة أمتدت من الشمال الغربي للجزيرة العربية حتى ساحل

البحر الأحمر حتى أن خليج العقبة الحالي كان يدعى الخليج اللحياني. وذلك في القرن الأول ق.م الميلاد وتدعى آصف حسب قراءتي. ومن غير المعروف ما إذا كانت هذه الملكة قد حكمت بمفردها أو كوصية على قاصر، أو كزوجة لملك وبرز اسمها لسبب أو لآخر، ولكن يبدو أن لها علاقة بملك اسمه (أس بن شهر) الذي يذكر اسمه في السطر الذي يسبق ذكر ملكة لحيان/ ٣٣- ٣٤/ هتون أجواد

كقارى أتوهمني قارئا نوعيا كنت أنتظر حفريات أعمق في هذا الكنز عن الملكة اللحيانية في هذا المبحث الغزير للباحثة هتون. ويمكن أن نستقرأ الحال: أن مملكة بهذه السعة والمكانة لابد أن علماء الآثار توصلوا للبحث عن أصول هذه المملكة، إذا لايمكن أنها محقت خصوصا وان هذه الملكة اللحيانية، هي نسق المتعدد في الواحد: بشهادة النقوش وهي بالعشرات: تشير إلى نساء يملكن مزارع نخيل والذي كان العقار الرئيسي آنذاك وأن للنساء مزارع في تيماء وغيرها.

مع الباحثة العراقية القديرة نبيهة عبود (١٨٩٧- ١٩٨١)

تفعّل قراءتي قطعا. تنسحبُ مِن ما قبل الإسلام، وتوّكر في العصر العباسي ويدخل طير قراءتي إلى حريم الخيزران بنت عطاء، ليقول: إن ما بين القوسين (كجارية عادية تباع في سوق

الرقيق): يكشف عن تعالٍ طبقي لدى الباحثة وعن نوع من الجهل في آليات الرق. فالرق وهذا لا يخفى على الباحثة نبيهة عبود – طيّب الله ثراها – هو من حصاد صهيل الفتوحات.وحين تصدى لها ولدها الخليفة محمد الهادي وطالبها بالتفرغ النسوي المألوف. أزاحته بنعومة وسائد سريره الملكي، والتي أزاحته خيزران السلطة، أما الخيزران الأم فلم تر فيه الولد بل الرجل الخصيم اللدود الذي يريد تعريتها من هيبة السلطة.. تسيّدت الخيزران ثلاثا في زمن الزوج الخليفة المهدي ثم تضعضعت سلطتها قليلا في خلافة ولدها الهادي وسرعان ما تألقت هيمنتها في خلافة ولدها هارون الرشيد، لكن بمؤثرية الزمن تراجعت الخيزران عن واجهة المشهد وتصدرت المشهد السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد!! هل السبب هو العقل الذكوري آنذاك الذي يرى خناثته حين تتصدر المرأة المشهد السياسي؟ وهنا تخبرنا الباحثة نبيهة عبود (لا يوجد موضوع في التاريخ الإسلامي مثقل آيدلوجيا مثل مسألة تدخل النساء في شؤون السياسة والحكم..) هنا تسلّط الباحثة ضوءاً ساطعا على إشكالية كبرى.

الخيزران / شغب / زكوتو

نعود إلى ما بين القوسين ونقول: الخيزران بنت عطاء ليست جارية عادية وكذلك زكوتو الآرامية: من خلال شخصيتهما يتضح

للقارئ إن المرأتين تنتسبان إلى علية القوم:لم تقف الخيزران عند هذا الحد فقد أصبح أخوها غطريف واليا على اليمن واستدعت والدتها وأختها وزوّجت أختها لأحد الأمراء من البلاط العباسي. وقامت بمنع قرارات الخلافة.. وهنا أيضا تبدأ مؤثرية الزمن في الخيزران فمع خلافة الرشيد دخلت الخيزران في غسقها ومثلها ستعاني زبيدة فإذا كانت الخيزران هي التي تخلصت من ولدها الخليفة الهادي فإن الخليفة الأمين سيكون كبش محرقة الأخوة الأعداء. وهكذا نرى أن السلطة في عهد السيدتين كانت من أماليهما السردية والشخوص هم الضحايا والسلطة المخملية لم تكتف بالحيز: البلاط وقصور الخلافة،بل سيّلت دماء الأخوة والجند في بغداد الذهبية وليس في الثغور. وانتصر مهزوما الخليفة المأمون ولأول مرة في التاريخ العربي الإسلامي ما يطلق عليه خليفة المسلمين في الإمبراطورية الإسلامية العظمى يحكم بالتراسل، الخليفة المأمون يسكن إيران في مرو، ويحكم بغداد وأرض السواد!! وعلى المستوى العام (امتاز العصر العباسي الأول بشدة الحركات الفلاحية ضد الجور الحكومي والاستغلال الإقطاعي والسبب أن العباسيين لم يعملوا على تخفيف الضغط الاقتصادي والاجتماعي على الجماهير../٧١ / قاسم العزيز/ ال– طيّب الله ثراها – أن ثورة الزنج استنزفت ميزانية الاقتصاد العباسي قرابة

ق ١١: ملكة سبأ: بلقيس

ملكة وثلاث نظريات

تعترضنا الجغرافيا القديمة في معرفة لحظة تاريخية، سطعت فيها حكومة الأنثى وهنا السؤال انعقف بدلا من أن يكون من هي ملكة سبأ؟ صار أين تقع سبأ؟ وبشهادة الباحثة هتون أجواد (إن قصة ملكة سبأ تتنازعها ثلاث نظريات، إنها ملكة من جنوب الجزيرة العربية، إنها إحدى ملكات شمال الجزيرة العربية في أحدى مستوطنات سبأ الشمالية، أو إنها ملكة من شرق إفريقيا../ ٢٠) وسعة الجغرافيا المملوكة تقاس بالقوة الحصانية لصليل السيوف أو القوة المقدسة.. ربما لأن (إثيوبيا عرفت في الفترة المعاصرة لسليمان مملكة كان معظم حكامها من النساء وهي مملكة مروي، في شمال السودان، ثم تحولت إلى مملكة ذكورية مع سلالة ماكدة بدءاً بمنليك الأول فضلا عن أن سبأ توسعت منذ زمن بعيد في شرق إفريقيا، من خلال هجرات مستمرة حتى أن الجغرافيين القدماء كان يطلقون على منطقة أريتريا وشرق السودان الحالي: سبأ../ هتون أجواد).. ليس بسعة الجغرافيا وحدها سطعت دولة سبأ، وهي الدولة التي تتموضع جنوب شبه الجزيرة العربية،شمال

الهضبة الغربية لبلاد اليمن، بل أن دولة سبأ: تفردت منزلتها بكتابين سماويين هما القرآن والتوراة، وهكذا تميزت دولة سبأ عن الدول الكائنة في جنوب شبه الجزيرة العربية.. أما تأريخ دولة سبأ فقد (قسم المؤرخون التأريخ السبئي إلى أربعة عصور تاريخية: عصر المكاربة، عصر الملكية، عصر ملكية سبأ وذي ريدان، وعصر الدولة الحميرية.

وحين اتجهت (جالية منها لترعى مصالحها التجارية في شمال شبه الجزيرة، فورد ذكرها في النصوص الآشورية حيث أشير إلى قوافلها في سفر أيوب../ هند محمد التركي/ مملكة قيدار/ حاشية الصفحة ٤٢/ مكتبة الملك فهد الوطنية/ ط١/ الرياض/ ٢٠١١)

مؤثرية الكربون الإشعاعي

هنا تداعت قراءةُ ليفي كتاب (رجال الآثار) فنبشتُ وبمساعدة عائلتي غابات مكتبتي للبحث عن الكتاب وهوامش لي على حواشيه.. وها أنا بخصوص نظرية الاحتمالات الممكنة حول ملكة سبأ أتوقف عند ص ٨٤ من كتاب (رجال الآثار) وهو من تأليف الدكتور روبرت ج بريدوود وترجمة كمال الملاخ/ ط١/ ١٩٧٠ مؤسسة فرانكلين – نيويورك – القاهرة).. فهو يعدد طرق وكيفيات معرفة الملتبس الأثري ثم يؤكد على المشترك الاتصالي بين كل الطرق وهو مؤثرية الكربون الإشعاعي (إن كل مادة عضوية حية

تستوعب من الجو الخارجي وحدة من الكربون الإشعاعي، وحين تموت هذه المادة يبدأ فناء الوحدة بمعدل معروف، ومرور ٥٧٥٠ سنة أفنى نصف ما بها من وحدات، وبمرور فترة زمنية أخرى يفنى النصف الباقي وهكذا.... وكل ما يستطيع أن يفعله الآثاريون من الوجهة النظرية هو أن يحضروا لزملائهم في معامل الكربون المشع كمية كافية من المواد العضوية من طبقة معينة وينتظروا حكمهم..)

فاعلية السمكة

لنمسك السمكة من ذيلها ونتساءل مَن يحمل مَن؟ أنا احملُ اسمي أم اسمي يحملني؟ في مسك ختام كتابها القيّم تتوقف الباحثة اليمنية الأستاذة بلقيس الحبيب إبراهيم بن أحمد الحضراني.. تتوقف عند الإشكاليات التسموية لملكة سبأ، والباحثة تتوقف لتغوص في أزمنة وعصور ودهور لتتجاوز الزمكان وصولا إلى أسلافٍ عظام شهدوا أول ديانة زراعية تركزت حول إلهة واحدة هي سيدة الطبيعة. والأسلاف اعتنقوا واعتقدوا أنْ لا فرق بين الأم والطبيعة فكلاهما تحتضنان الخصب والنماء، وهكذا أصبحت كل أنثى كونيةٌ عظمى هي منشأ الأشياء ومردها عنها، تصدر الموجودات وإلى رحمها تؤول كل الأشياء: بشهادة المفكر الكبير فراس السواح في كتابه الضروري (لغز عشتار). وللمرأة

المميزة وظائفها المجتمعية المرموقة، والمزدوجة أحيانا كما هو الحال مع أول شاعرة في العالم إنيخدوانّا بنت سرجون الأكدي فهي الكاهنة والحاكمة في أور.. (وقد اكتسبت الكاهنات العربيات مكانة مرموقة بفضل مراكزهنّ الاجتماعيّة إذ كنّ من علية القوم. ولعلّ ما دعم سلطة الكاهنات هو اجتماع المعرفة الغيبية والعلاقة المتينة بالسلطة السياسية. فمن ضمنهنّ: الملكة.. وأم الملك.. وزوجة الملك.. وابنة السيد.. وكاهنة الملك.. والأمة المولّدة ولا نعتقد أن الانتماء إلى هذه الأوساط أو بالأحرى انتماء الكاهنات إلى النخبة المالكة الثرية من باب الصدفة/ ٧١/ سلوى بلحاج صالح/ الكاهنات العربيات سلطة ومعرفة/ من كتاب (النساء والمعرفة والسلطة) مؤلف جماعي تحت إشرف آمال قرامي) هكذا كانت مكانة ومساحة المرأة في تلك العصور، خلافا لما تكابده الآن النساء من امتهانات متراكبة، ونحن نعيش في (قرية إلكترونية) كما يدعي علماء الإلكترون والذرة والرؤوس النووية العابرة للقارات...

المطلق الأمومي

اتصالية الحضارات مؤسطرة بمفهوم (الأم الكبرى) مع مختلف تسموي فقط:

بلاد الرافدين: (عشتار) و(أنانا)

وادي النيل: (إيزيس)
الإغريق: (أفروديت)
أرض كنعان: (عنات)
اليمن: (رئام)

غزارة التسمية

مما تقوله الباحثة اليمنية: بلقيس الحراني نقترض الكلام التالي (إن وقفة تأملية عند اشتقاقات كلمة بلقيس، في اللغات المختلفة والمتعددة، لن يخرج بنا عن إطار تلك الصورة النموذجية لتجربة مركزية متجددة. فقد وردت اشتقاقاتها بمعنى: عذراء ومحضية وخليلة وامرأة جميلة تضل الأتقياء وهي لقب لأثينا إلهة الحكمة والحرب،إضافة إلى معنى المغزل والصاعقة وهو ما يجعلنا نستحضر تلك الصفات المرتبطة بالأم الكبرى وهي تغزل خيوط القدر وتقرر مصائر البشر، أما الصاعقة فهي تشير إلى قوتها وقدرتها على التدمير/ ٢٥٤) تسمويا أليس نحن إزاء المتعدد في الواحد؟ كما علمنا الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز. وهي خصوبة تؤكد أن الواحد لم تطوقه واحديته بل اخترقها تسمويا ليتجلى بأسماء وصفات مكتنزة بما يليق بحضور هذه الواحدة وكل اسم أو صفة يوصل سطوعها إلى الأقاصي العميقة الأمداء. والاسم يواصل حضوراته من خلال تفعيل الاسم من خلال المسماة فلم

يكتفِ بالشخص المسمى بل أصبح يشير إلى حرية اليمن وقوته وشخصيته المستقلة، لذا (فالذي يعنينا في نهاية الأمر هو التقاء الجميع عند اسم بلقيس. سواء من قال أن اسمها مشتق من بلقمة أو يلقمة أو آل قيس أو من جاء بصفتها، إن ما يعنينا، وهو الأهم، هو حضور هذا الاسم الثابت في الثقافة والذهنية اليمنية وفي ضمير الأجيال التي ظلت تتوارثه من جيل لآخر مشكلا حضوراً حياً للماضي بكل ما يرمز إليه من قيمٍ ومثل، رمزاً يربط الماضي بالحاضر والمستقبل../ ٢٥٥/ بلقيس الحراني)

(*)

ملكة سبأ: شخصية إشكالية

وكيف تشكّلت كل هذه الإشكاليات التسموية والجغرافيّة والتاريخية وتمازج الوقائعي مع الميثالوجي.. حول ملكة سبأ..؟ إذن الموضوع شائك بقدر ما هو مثير، يجمعُ بين التاريخ والأسطورة.

جرى أسطرة شخصية الملكة بلقيس، فالمفسرون والمؤرخون والخيال الشعبي أجمعوا أن الملكة بلقيس هنا نفسها من هذه الأثنية: الأب من الأنس والأم من الجان واسمها (رواحة بنت سكن) كما جاء في كتاب التيجان، وهي (الحروراء إبنة اليلب بن يعرب العرمي) كما جاء في كتاب (ملوك حمير وأقيال اليمن) أما

والدها فهو الملك العظيم (الهدهاد بن شرحبيل).

الاستقواء بالحقيقة الإيمانية

لا خلاف أن من حق الشعب اليمني الشقيق أن يباهل بالشخصية العظمى الملكة بلقيس ويسردها كتبا وروايات ويشعرنها قصائد جميلة، لكن الوحدة السردية الصغرى تستحق وقفة من قراءتي المتواضعة وأنا لست من الباحثين ولا من علماء الآثار. مجرد قارئ له محاولات في السرد والشعر وزعتها في كتبي المنشورة.. (قد يقول قائلٌ تمشيا مع أصول البحث العلمي والحقائق العلمية الوضعية، إن حقيقة وجود تلك الملكة لم يستدل عليه استدلالا قطعيا. إلاّ أن الحقيقة الإيمانية التي لا يمكننا كمؤمنين، إنكارها تؤكد وجود تلك الملكة حيث ورد ذكرها في القرآن الكريم، وفي العهد القديم والعهد الجديد. إضافة إلى انتشارها في الموروث الثقافي لكثيرٍ من شعوب المنطقة بصيغ مختلفة وروايات متعددةٍ غلب عليها المنحى الأسطوري وهو أمر إن دل على شيء فإنما يدل على عظمة تلك الملكة../ ١٧)في رأيي: أن الاستقواء بالحقيقة الإيمانية: يغلق أمام القارئ: باب الاجتهاد في فهم النص التاريخي المؤسطر. ولايخفى على الأستاذة الباحثة بلقيس الحراني: أن الحقيقة الإيمانية هي أقرب إلى الرؤية بعين القلب. لكن هنا نحن إزاء شخصية تأسطرت وأصبحت نسبة

الأسطوري أعلى من الواقعي، ومن حق الباحث أن يمارس حفرياته في كافة النصوص حول هذه الشخصية الإشكالوية. لنأخذ عينية مجاورة لذلك: لنأخذ فيلم تايتنك وهو من الأفلام العظيمة والمشهورة يستند على واقعة حقيقية في بداية الفيلم. لكن هل تحول الفيلم إلى فلم وثائقي؟ بالطبع كلا. لقد تم تدوير الواقع كنص وتطعيمه بالمخيال والرومانسي والعلاقة الطبقية الحادة بين المعدم والمرأة الثرية... إلخ.. هنا بالنسبة كمشاهد لاتهمني الوثيقة التاريخية بل تهمني التقنية السينمية وبراعة الممثل العاشق الولهان...

إنيخدوأنا / بلقيس

نتوقع للملكة بلقيس – مستقبلا في الحفريات – مثل مستقبل الكاهنة والحاكمة وأول شاعرة في العالم (إنيخدوأنا) فقد تم العثور على نصوص في أور ١٩٢٢ من خلال بعثة متكونة من علماء آثار من جامعة بنسلفانيا والمتحف البريطاني، بمغامرة مشتركة للتنقيب والبحث في مدينة أور القديمة، وقد غيّرت اكتشافاتهم معرفة العالم وفهم التاريخ / ٦٣/ كامل جابر/ صلوات إنهيدوانا/ دار الجمل/ ٢٠٠٩) ثبتنا هذا المقبوس الذي يأتلف مع رؤية الباحثة بلقيس الحراني من خلال قولها التالي (إنني إذ أتناول هذا الموضوع الذي يتداخل فيه الديني والتاريخي والأسطوري، لا أزعم

الوصـول إلـى اسـتنتاجات تاريخيـة سـاطعة، فللتـاريخ أسـاتذته وباحثوه، وكل ما أطمح إليه هو استبطان هذا الموروث الثقافي الكبير الذي لايستطيع أن ينكر وجوده أحد باعتباره موروثا ثقافيا علق بذهن الشعب اليمني والعربي وترسخ في أعماقه بصيغ مختلفة. لذا أجدني أنساق كي أؤكد أن قصة الملكة بلقيس لا تخلو من المنحى الأسطوري../ ٣٧) إذن تخلت الباحثة عن الاستقواء بالحقيقة الإيمانية وسلكت طريقة أنظمة السلوك الجمعي وهذا هو المسلك المؤثر..

قراءة الاقتصادي في الديني

الفصول التي تغترف الباحثة بلقيس الحراني فيها من الكتب السماوية، ومنها ما جاء في سفر الملوك وتحديدا الفصل العاشر، فالباحثة تبئر منها: قراءة اقتصادية بين شام النبي سليمان وملكة سبأ (لا شك أن قصة الزيارة المدونة في التوراة تكشف عن الصلات التجارية التي كانت بين العبرانيين والسبئيين.. بل يذهب بعض المحللين إلى أن تلك الزيارة لم تكن تهدف إلاّ إلى تعميق العلاقات التجارية حيث كان السبئيون يتحكمون في التجارة الدولية للبخور والمرّ واللبان، وكانت قوافلهم تسير من جنوب الجزيرة العربية إلى غزة بمحاذاة البحر الأحمر ٣٤٠٠ كيلو متر تقريبا../ ٣٥)..

تفنيد مردود

من الدكتور إبراهيم عبد الرحمن في تفنيده للقائلين بأن الوثنية كانت ديانة العرب: تقبس الباحثة بلقيس أحمد الطيب الحراني السطور التالية (الذي يهمنا أن عبادة الأوثان قد انتقلت إلى العرب من الأمم المجاورة../٦٦).

نشأة الأوثان

خلافا لرأي الدكتور إبراهيم عبد الرحمن: ترى الباحثة الحضرموتية المولودة في مصر ١٩١٣ أبكار السقاف ابنة الشريف محمد سعيد السقاف.. (إلى أبناء إسماعيل تعود بأسبابها نشأة الأوثان غداة انتزع منهم أخوالهم الجراهمة مكة وأقصوهم عنها، إلى حيث راحوا يتفسحون في فسحات الوادي سعيّا وراء العيش.. فإنه لما كان قد علق في أذهانهم من أن إلى أرومتهم يعود بناء (بيت الله) كان لا يرتحل منهم عن مكة مرتحل إلاّ واحتمل معه حجراً من حجارة الحرم.. صبابة بمكة وتذكرة له بها! وحينما حل في مكان من أرجاء شبه الجزيرة وطاب له فيه الاستقرار، وضع هذا الحجر وتمثّل فيه الكعبة، وعكف على الطواف به كطوافه بالبيت، فالعدناني الذي فارق مكة إنما فارقها مجبراً والقلب منه مولع بحب بيت يرى فيه الرابطة التي تربط الفروع من إسماعيل بوحدة نسبه هو عليها من الضياع أو التفكك

جد ضنين، وليس إلاّ تحت ضغط من هذا الدافع كان احتماله لهذا الحجر في ترحالاته في أرجاء منفاه ولكن! ليؤدي ذلك ولأيام تقتطع من عمر الزمن أجيالا إلى توارث الاتجاه إلى هذه الحجارة واتخاذها قبلة لافي الصلاة لذاتها،وإنما وسيلة إلى عبادة الله.. /١٨-١٩/ أبكار السقاف/ الدين في شبه الجزيرة/ آفاق للنشر والتوزيع/ القاهرة/ ط١/ ٢٠١٩).

ق ١٢: نسوة قرطاج

الملكة عليسة ٧٥٩ ق.م

تتحرر من قبضة الذكورة المطلقة المستبدة، خطوة نسوية تفتت خشونة النبرة الملكية. نزهتنا هذه في قرطاجة،بتوقيت الزمن المدوّن أعلاه، نتجول في الأسواق نرى النساء القرطاجيات يسهمن بجدارة عالية الجودة في حياكة الملابس وغزل الصوف، ويشاركن في تفعيل الاقتصاد اليومي لقرطاجة فهن تاجرات ومزارعات ويعلمن الأولاد والبنات في بيوت العلم، وفي ذلك المكان الواسع. نسمع صليل سيوف وحين نقترب نتوقف قليلاً ثم نتقدم ونفتح بابا وسيعا نجتاز ممراً. فنرى قرطاجياتٍ يتلاعبن بالسيوف، وهناك من يتدربن بحماس يتصبب عرقا منهن. ثم يتوقف كل صوت ويتأرج عطرٌ قبل المتعطرة به... ثم تتقوس القامات النسوية إجلالا للمرأة الملكة، وحين تساءلت عيناي، همسني صوتُ نسوي: هي ملكتنا المبجلة عليسة الفينيقية الأصل، ابنة الملك (كتون ملك صور) عينها والدها الملك وشقيقها بيغمالون ليخلفانه على العرش

ولي العهد القاتل

إذا أنتهى الفرعون رمسيس الثالث نتيجة غيرة بين زوجتيه (تي) و(إيزيس) على العرش، فالملكة تي تريد العرش لولدها بنتاؤر، والملكة إيزيس تريده لولدها رمسيس الرابع، وفي النهاية يذهب رمسيس الثالث ضحية بسبب انقلاب دبرته الملكة تي لتتخلص من الفرعون بقتله، مع الملكة عليسة، يدبر شقيق عليسة مكيدة وينحج في تصفية الكاهن عاشر باص كبير كهنة الإله ملكارت. وهذا الكاهن هو زوج شقيقته عليسة وسبب القتل من أجل مصادرة كل ما في حوزته من ثروة..

الفرار من قرطاجة والتحصن في قبرص

حين علمت عليسة، بادرت مسرعةَ مع الثقاة من حاشيتها وفرّت مبحرة إلى قبرص، (وقد خطفت ثمانين فتاة لتزوجهن هناك إلى رجال حاشيتها!!) ما بين القوسين قطفناه من المؤرخ الفرنسي فرانسوا دوكريه/ ص٣٢

نتوقف / نتساءل: مابين القوسين، يمر سريعا، بلا توضيحات؟ الإنسان في حالة فراره، كيف بمقدوره خطف هذا العدد من النساء؟ هل هن سجينات..؟ وكلام فرانسوا دوكريه: مثبّت في مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في (دور المرأة في الحضارات القديمة) وهي من إعداد الطالبتين: مريم طالبي وبو عكاز جميلة وتحت

إشراف البروفيسور سلاطنية عبد الملك / جامعة الجزائر. ونتوقف عند الجملة التالية لدى الطالبتين الأكاديميتين في المبحث الثالث الذي عنوانه: المرأة في الحياة الدينية.. (فكانت الآلهة هي المسؤولة عن كل شيء،فهي التي تختار الأسرة الحاكمة ومن يتولى العرش./ ٦٨)!! ليس الآلهة بل الكهنوت الذي يلّفق أسطرة مباخره في أنظمة السلوك الجمعي.

عليسة القرطاجية/ تي الفرعونية

في قبرص ستكون هناك مقايضة ملكية / كهنوتية. أي أن الملكة عليسة اتفقت مع كاهن قبرص حنون الأكبر أن تكون هنا ملكة مقابل أن تكون الكهنوتية له ولذريته. وتم لها ذلك.هنا نلاحظ أن عليسة لا جماهير لها في قرطاجة، وشعبيتها حصراً على حاشيتها، ومن خلال خطفها للنساء، يبدو أن الذين معها من الرجال، بعدد النساء المخطوفات.

عليسة / تي

خلافا لذلك كانت الملكة تي: الزوجة الثانية للفرعون رمسيس الثالث لديها شبكة نسوية واسعة في الفضاء المغلق للحريم ومعها على مستوى السلطة الحاكمة:

(١) باي بك آمون: كبير الأمناء

(٢) مسد سو رع: أخلص ندماء الفرعون
(٣) عشرة من موظفين جناح الحريم من مختلف الرتب
(٤) أربعة من ندماء الملك
(٥) مسؤول المالية
(٦) قائد سلاح الرماة في النوبة
(٧) أخت قائد سلاح النوبة وهي من حريم الفرعون
(٨) ثلاثة من كتّاب الديوان الملكي
(٩) انضمام قائد كبير من قوات الجيش يدعى (بايس)
(١٠) مساعد كبير الأمناء

يبدو من خلال هذا التحالف المتشابك، وكذلك وجود مؤيدين له من العامة، بل استطاعت الملكة تي أن تجعل القضاء فاسدا من خلال تقبله لأي نوع من أنواع الرشاوى.

نلاحظ أن الصراع هنا نسوي / نسوي: الملكتان: تي/ إيزيس، أما بالنسبة للملكة القرطاجية عليسة فالصراع أسري: عليسة / شقيقها.. عليسة جماهيرتها: حاشيتها فقط لذا لايمكن أن تقوم بأي خطوة عسكرية للتخلص من شقيقها والملك: كل المجتمع الذكوري من ضمن أسلحته.. توقفتُ عميقا عند شخصيتها فهي الملكة المؤسسة للمجتمع القرطاجني، وهي شخصية بمديات واسعة، فينيقية المنبع.

لايذكر المؤرخون كيف تغير اسمها من (إليشات) إلى اسم

الشهرة (عليسة)!!.. لكن من يقرأها ما تبقى من المسطور من حياتها، يعي أنها شخصية متمردة على نسقها، اشترت أرضا من سكان المغرب والتي كانت تعرف باسم(نجليه جلد الثور الشهيرة) وأثلت وطنا صغيراً لشعبها القليل العدد والقوي الشكيمة..هذا الفعل النسوي الجميل يستفز عواء الذكورة إذ سرعان ما طلب للزواج: حرباص رئيس قبيلة الماكسيتايين المتاخمة لمملكة الملك عليسة، وفي حالة رفضها سيقوم بشن هجوم على مملكة عليسة لتدميرها، فما كان من الملكة عليسة (إلا أن أحرقت نفسها) وما بين القوسين لا يمتلك لديّ أسباب الإقناع!! لكن يبدو أن عليسة شخصية مسالمة لاتجيد تعنيف الآخر.فلما أجرم شقيقها بحق زوجها.. لم تواجهه بل فضلت الفرار. وهاهي في فرارها الثاني تفر إلى قتل نفسها حرقاً.. أن عليسة شخصية عصابية من طراز خاص تستحق جلسات سريرية لدى جاك لاكان.

صفية ٢٠٢- ٢٢١ ق.م

للكهنوت علو لاينوشه الملك أو الملكة. ومن هذا العلو/ التعالي يمنح حريةً مؤطرةً بتعاليم يحق للملك / للملكة إشهار الهيبة الملكية، والكهنوت يتظاهر بنأيه عن الفعل السياسي ويتمظهر بالفعل العبادي الدؤوب، لكن الأمر يختلف مع الكاهنة **سوفينا** وهذا الاسم ترجمة رديئة للأسم العربي للكاهنة فهي اسمها

صفية، لكن لا أدري الترجمة العربية لماذا لا تعيد الاسم إلى أصوله العربية!! وقد تسيدت صفية:بسجاياها الحميدة على المجتمع القرطاجني، وحضيت الكاهنة باهتمام بليغ من قبل المؤرخين آنذاك ومنهم: بولويبوسن وتينوس وديودوروس الصقلي، منذ شبابها حين كانت تعبد الآلهة في مدينة سيحا عاصمة صفاقس، صعودا إلى قيمتها الكهنوتية وجمالها القاهر الذي أوصلها إلى عرش الحكم حيث توّله فيها الملك النوميدي سيفاكس، وأصبحت زوجته. وهكذا تضاعفت أهمية الكاهنة الملكة صفية لدى المكان/ القصر الماسولي بمدينة سيحا وكذلك تضاعفت عند المكين / الملك وصارت أقوالها تعاليم بنبرة مخملية بالنسبة للبلاط. مما جعلها تتسنم مهمات سياسية خطيرة، وتنجح في مهامها مع الجميع، ونجاحها شرّع لها أبواب قصور الملوك والأمراء ورؤوساء العشائر ولم يخفت عطر صفية، بعد رحيل بقرون استعادت حياتها نصيا في مسرحية من تأليف شخص يدعى بيار في ١٦٦٣ ونالت الاهتمام من قبل الخطيب فولتير، وكانت ملهمة الشاعر الإيطالي فثوريو في ١٧٨٤.

المشترك الاتصالي بين عليسة وصفية

الملكتان تشتركان بقوة العزيمة في تسيير أمور الملكة ولهما تأشير كبير على الرعية والمشترك الثاني هو صلة الرحم بين

الجدة والحفيدة. عليسة هي جدة الحفيدة صفية. من هنا فقد اكتسبت الحفيدة وراثيا صفات جدتها، وكذلك كانت قريبة منها أثناء مزاولة الجدة حكم المملكة. للأسف هنا المشترك الثالث فالحفيدة كان لها مصير جدتها المأساوي: الانتحار. لكن بالنسبة للحفيدة لايذكر المؤرخون سبب انتحارها!!

ق ١٣: ملكات أوغاريت

المحراث: مفتاح مملكة أوغاريت

يقول الفيلسوف الألماني هيغل (الحرية هي إدراك الضرورة) أما الفقير لربه كاتب هذه السطور فيرى: المصادفة مفتاح الضرورة لأن قصدية البحث في الغالب تزيدنا رهقاً، والغلو في الإصرار يعني نحن على خطأ ونجالد لنوهم أنفسنا أن هذه الطريقة توصلنا للمرتجى المؤجل فينا، لكن يبدو ثمة ساعة كونية هي التي ترشد لا وعينا الشخصي، وليس وعينا بيقظته المدببة: إلى المفتقد الذي نحتاجه للتوازن. من الغرائب التي لم تمر ببال أحدٍ منا، إن الأرض التي ندوسها الآن صارت سماء ترابية لحضارة سالفة. الماضي تسردب إنطمرت بلاغة أحجاره، في سراديب زمن تبدد / تكدس في حجر يقظ يتأمل ضوءاً من حاضرنا..

(*)

فلاح في شمال مدينة اللاذقية في سوريا الحبيبة.. لنتخيله على بعد كيلومترات من شاطىء البحر. كل يوم يمارس الفلاحة في أرضه بين السقاية والغراس والحصاد. والحراثة في ذلك اليوم،

فجأة انغرز سن المحراث في بقعة مباركة. فتصيّر المحراث مفتاحا ثمينا. فمن خلال فعلته: للباحثين عن الحضارة الأوغاريتية، أهدى باباً ومفتاحا للباب الأوغاريتي، وأوصلهم المفتاح إلى كنوز لا تثمّن بثمن. فمحراث الفلاح اللاذقاني أوصل علماء الآثار، إلى ما تحت أطلال (مملكة أوغاريت) حيث العطاءات المعرفية الثرة.

والذاكرة العظمى المنضودة في الرقم الطينية.. هي أوغاريت العظيمة في مجد أبنائها وبناتها. من هؤلاء وهؤلاء من أصلاب عرب كنعانيين انحدر الملوك والملكات انحدرن وصهلت الحضارات بعيدا وتفيأت الأقوام سيوفها.

أوغاريت لها حق المباهلة فهي التي نقلت الكتابة من التصوير إلى الحروف وبالحروف دونوا دينهم وأغانيهم وصدى سيوفهم وأسماء الإلهات وفصوص الحكمة وهندسة الغيب وما تسرده مباخرة الرقى والتمائم ومن خلال اكتشاف أوغاريت ولغتها أوصلتهم أوغاريت إلى اكتشاف ثماني لغات!!

الملكة الاوغاريتية

يمتلك ملك اوغاريت السيادة المطلقة، وبلغتنا هو القائد العام للقوات المسلحة، وبيده كل مقاليد الحكم،لكن الملكة بالمخمل كانت تنسج شبكةً واسعةً من نفوذها الشخصي على رجالات الحكم، من

خلال سيطرتها على البلاط الملكي وبالطريقة هذه تقربت / توسلت إليها الشخصيات المرموقة في البلاد لتحل لها ما يعتور الوضع السياسي من بعض الصعوبات. وللملكة خصوصيتها الحاكمة: وبشهادة الباحث علي القيّم (تكشف لنا ترجمات الوثائق الملكية المكتشفة في أوغاريت عن عدد من النصوص الموقعة من قبل ملكة تدعى(شار– إل – لي) وكان لهذه الملكة ختم خاص محفور عليه خطين.

ملكات أوغاريتيات على نهج الملكة زكوتو الآشورية

للمرأة الحاكمة مهابتها في مملكة أوغاريت، ليس هناك مصدات ذكورية تمنع المرأة أن تكون ملكة إذا اقتضت، خصوصا وأنهن توفقن في إدارة شؤون البلاد. حيث عثر علماء الآثار على ختم في أوغاريت، يذكر أن (آهات – ميلكو) والدة الملك (أميشتمرو الثاني) أصبحت وصية على على العرش، بمرسوم ملكي يتجسد من خلال ختم يحدد أن (آهات – ملكو) ملكة أوغاريت. وما فعلته ملكو. يعيد قراءتي إلى ما فعلته العشيقة ثم الزوجة زكوتو من أجل جعل ولدها إسرحدون ملكا بعد والده سنحاريب، وزكوتو ليس من أصول آشورية بل هي آراميّة من سوريا. وكانت قد أخفت ولدها في مكان قصي من آسيا الصغرى خشية عليه من أولاد سنحاريب وزوجاته.ثم صارت زكوتو هي

الملكة في عهد حفيدها آشور بانيبال. وقد اتخذت زكوتو من مدينة (لا خيرو) مركزا إداريا لتصريف أمور الأجزاء الجنوبية من الامبراطورية الآشورية التي تشمل بابل وأهوار الحنوب..

(*)

بالنسبة للملكة الأوغاريتية (آهات – ملكو) كانت زوجة (نقميبا) وهي والدة (أميتشروا الثاني) وهي أميرة عمورية، بذلت كل جهودها دفاعا عن حقوق أبنها بكل شجاعة حتى تضمن الوصول إلى العرش. وبعد وفاة الملك (أميتشرو الثاني) صارت زوجته (بودوهيبا) وصية على العرش، لأن أبنها (توضاليا الرابع) كان صغيرا. و(بودوهيبا) كانت تشارك زوجها الملك (أميتشمروا الثاني) في إدارة شؤون المملكة. فهناك رسالة فخارية من زوجة الملك إلى الملك: لتسوية مسألة أحدى السفن التجارية التي غرقت داخل مياه أوغاريت../١٥٦ / علي القيّم..

نهر العاصي يصبُ في روما: ملكة من حمص تحكم روما

لا نعرف ماهي أسباب الهجرات السورية إلى روما في العهد الروماني الأمبراطوري. لكن سنعرف أن السوريين حين قصدوا روما حملوا معهم ثقافتهم وفكرهم وفنهم مما جعل الرومان يعتمدون عليهم في الحراك الثقافي والاجتماعي. وهذا يعني تفوق الوعي الثقافي السوري.. كما يعني من خلال السوريين: تمت

سورنة روما.. مما جعل الشاعر الروماني الهجّاء في سنة ١٤٠ ميلادي، منتقداً هذا التأثير العارم (إن نهر العاصي أصبح يصب في نهر التيبر منذ زمن بعيد، حاملا معه لغة سورية وتقاليدها وثقافتها../ ١٨٢/ علي القيّم.. ويبدو أن الذين قصدوا روما من ذوي الرئاستين: المال والثقافة ومن هؤلاء أسرة عربية من حمص.. وعلى ذمة المسطور التاريخي أن أهالي حمص كانوا يعبدون إلها شمسيا يدعى (إيلا غال) وعلاماتيا يرمز له بمخروط أسود وتزامن ذلك مع العصر الروماني وقوامة معبد الإله (إيلا غيال) بيد أسرة عربية هي حاكمة حمص وفي ١٧٥ ميلادي كان الكاهن الأكبر المسؤول عن المعبد، يدعى (باسيان).. هنا سيسرد القدر أو التلفيق السردي للمؤرخ ممزوجا بالمخيال الحكواتي ويصل ألينا التاريخ عبر أستدارة سردية. فالكاهن الأكبر لديه بنت على نصيب كبير من الثقافة والجمال:

كاهن أكبر ----------بنت كبيرة الشأن في الثقافة والجمال

تلتقي برجل كبير الشأن: أحد الموظفين الرومان ثم يتحول الموظف الكبير إلى الرجل الأكبر في روما.. ستشارك أبنة الكاهن الأكبر (جوليا دومنا) زوجها الامبراطور(سيتيم سيفير) في شؤون الدولة وتكون جوليا الامبراطورة وساهمت جوليا في شهرة زوجها، ورافقته في حروبه ورحلاته، وجلبت من حمص أختها وابنتيها. وستفعل مثلها في زمن العباسين (الخيزران) وتجعل أختها وأمها

وأخاها،ضمن حاشية الخليفة في زمن خلافة ولدها هارون الرشيد.

(*)

وكـأن ماحصـلت عليـه ابنـة الكـاهن الأكبـر لا يكفـي.. وتـم الإيعاز كما يحدث في كل العصور، يجب أن يطلقوا على زوج أكبر رأس في الدولة سيلا من الأسماء الحسنى، وهكذا صارت جوليا (أم الوطن) و(أم مجلس الشيوخ) و(أم الجيوش) ثم صار يطلق عليها (أم الجنس البشري كله)!! ومن فضائل الامبراطورة جوليا: مساعدتها على انتشار النفوذ الثقافي السوري،وأحاطت نفسها بعدد كبير من المفكرين والعلماء والأطباء السوريين وما قامت به هذه الكوكبة السورية، عاد بالخير على روما، في (توسيع آفاق الفكر الفلسفي والديني الروماني / ١٨٣/ علي القيّم).

ق ١٤: زبيداء ملكة تدمر

منفاخ الألقاب

هي نقلة نوعية في الزمان ضمن الفضاء السوري نفسه وحمص نفسها.. لكنها نزهة وامضة في حكم الملوك التدامرة الممدود من ٢٣٥ إلى ٢٧٥ بدءاً مع الأمير العربي (أوذينة بن عمرو) وهو عضو في مجلس الشيوخ ثم أصبح قنصلاً... ثم خلع عليه القيصر الروماني جالينوس لقب (مصلح الشرق بكامله) عندما حقق انتصاراً كبيراً على جيوش الساسانيين التي توغلت في بلاد الشام. وكان المشهد كالتالي: أربع فرق من الجيش الروماني يقودها القائد (فاليران) وصل أولاً إلى أرض المعركة، وقبل أن ينزل الجنود أحمالهم، هاجمتهم الفرق الفارسية المدرعة بالحدي، وأخترقوا صفوفهم وكأنهم آلات حرب. وكانت المفاجأة للجنود الرومان الذين رأوا هؤلاء الخيالة الغرباء، المثقلين بحديد الحماية، فلم يتمكنوا من استيعاب الصدمة فسقط الكثير منهم، والبقية عقدهم الرعب، فرموا بأسلحتهم، وولوا هاربين تاركين نسورهم،وهنا وصل أذنية بفرقة الخفيفة السريعة، وانقض على العدو الفارسي، وكانت هي المرة الأولى التي مارس فيها أوذنية تخطيطاً عسكرياً

حقيقيا. فقد أعطى الأمان للجنود الفارين ليعيد ضبطهم في فرقه القوية، بينما فرّت الخيالة الفارسية أمامه طلباً للأمان... /١٠٥/ برنار سيموث/ الأوراق الخاصة لملكة تدمر زنوبيا / ترجمة هيثم سرية /).. وحين انتصرأذنية على أحد منافسي القيصر في نهر العاصي، رأى نفسه من الأباطرة، ولكي يرى الآخرون رؤيته أطلق على لقب (ملك الملوك) كان يعينه في توسيع نفوذه ولده (هيروديان) وفي ٢٦٠ ميلادية فمنح ابنه (ملك الملوك).. حين يمنح الإنسان نفسه لقبا، هل هذا المنح ضمادٌ لجرح نرجسي لا يشعره سوى ذلك الإنسان، وبهذا الضماد يستقوى على دونيته الطبقية؟ أليس الألقاب تتجاور مع النبرة الفخمة في فن الخطابة؟ وكلاهما اللقب وفن الخطابة من الأغلفة الأنيقة وهذه الأناقة وظيفتها أن تستر ما يكون تحتها؟

السفح يلي القمة

وفي هذا العام ٢٦٠ تبدأ مسيرة جديدة في الحكم التدمري. فقد طارد أذنية الساسانيين، مراراً ومرة وصل إلى عاصمتهم (طيسفون).. وأصبح (أذنية شخصية قنصلية، وسفيرا للامبراطور والقائد الأعلى للجيوش الرومانية المرابضة في الشرق، ولم أمير تدمر فقط/ ١٢٩/ برنار سيميوث).. ومثلما وصل (طيسفون) فقد وصل إلى نهاية تاجه الشخصي في حمص في ٢٦٧.. كلاهما

وصل النهاية ذاتها الابن والأب: أذينة وولي العهد ولده الأكبر(هيرودين)؟! للآن وعلى ذمة المؤرخين يشتبه بأكثر طرف في مقتله.. (فأن الكثيرين كانت لهم مصلحة في قتل أذنية،منهم الحزب المماليء للساسانيين في تدمر، ومنهم الرومان أنفسهم، وهناك من يتهم بذلك زوجته الثانية أو الثالثة: زنوبيا. فالأبن الذي قتل مع أبيه أذنية (أولا لاينان) من زوجة سابقة، وزنوبيا تريد العرش لصغيرها (وهب اللات) / حاشية ص١٨٦/ علي القيّم.. بعد مقتل أذنينة ستسطع في الحكم والثقافة والسياسة زينب العربية.

مرآة جوليا دمنا

قبل مقتل أذنية لاظهور خاص لزنوبيا!! هل كانت مغمورة بظله الكبير المدجج بفحولته العسكرية المستبدة وهو على مشارف الستين وهي في عشرينها الضحوك. هو ترتجف أمامه جموع الموطنين وبالكاد يجرؤون على لفظ اسمه بصوت / ينظر إلى سيمون برنارد (الأوراق الخاصة للملكة زنوبيا) وهي تكتنز بليونة الأنثى ودهاء الحكمة هي تتأمل شكلها وجسدها في المرايا فلا ترى سوى مَن تحلمها وتتمنى أن تكونها، أعني الأمبراطورة الحمصية الأصل التي حكمت روما (جوليا دومنا).. من تسبب في تحليمها مثل هكذا حلم؟ ربما المتسبب هو معلمها (أوليموس)

وهو يقرأ لها بصوت عال في الأوذيسية وهو سيغويها يوما قائلا لها (أصبحت عالمة بالأمور أكثر من الإمبراطور السورية العظيمة جوليا دومنا/١٤/سيمون برنارد(الأوراق الخصة للملكة زنوبيا).. في كتابه (المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة) يخبرنا الباحث الأستاذ علي القيّم (بلغتنا روايات تفيد أن زنوبيا أدعت أنها من مصر ،من سلالة الملوك، وأنها من صلب الملكة الشهيرة كليوباترة. وأنها ألفت كتاباً كتبته بخط يدها اختصرت فيه ما قرأته من توارخ الأمم الشرقية لاسيما تاريخ مصر../١٨٦)

كأس كليوباترا

قبل زواجها من أذنية بيوم يضع والدها الثري بين يديها كأساً مذهبة ويخاطب ابنته (خذيها معك إلى منزلك الجديد،كما حملتها أمك من قبلك إلى منزلها هذا/ ١٢/ برنار سيمنيوث) هنا نحن مع كأس قيمتها مزدوجة: أولا قيمتها العائلية فالكأس مجلوبة من بيت الأم وليست هي من الأب إلى الأم. ثانيا قيمتها التجارية، لكن هناك القيمة الأهم والأثمن من القيميتين، هي القيمة الثالثة التي لم يعلنها الأب بل جعل ابنته تعلنها من خلال عينيها (ومن دون قصد لم تكن ترى عيناي إلا قسماً من الكأس وقد نقشت حوله الكلمات التالية (كيلوباترة، ملكة مصر).../ ١٢ برنار سمينموث) العلاماتية منسوبة لأم زنوبيا، أعني أن أم زنوبيا مصرية.

المشطورة: زنوبيا – سبتيما / زبيدة

أشكاليتان تواجهان ملكة تدمر: عروبيتها أشكالية مملكتها بين قوتين تتناطحان على السيادة المطلقة: الرومان / الساسانيون. وهناك أشكاليتها مع أهلها البدو تريدهم قوةً ولا تريد تفقد سلطتها الرومانية كأميرة على تدمر(في القبيلة، يكون الجميع ذوي قربى، فذهبت من واحد لآخر، منادية باسمه عندما يلوح لي بأني قد عرفته. فقد جهدت للنطق بالارامية فقط، وبالتأكيد فقد أحببتهم أكثر مما أحبوني، وكان عليّ التكتم والتستر لكي أبقى واثقة من نفسي،خلال الجزء الذي عليّ أن ألعبه (كزبيدة) وبذات الوقت(زنوبيا – سبتيما) فالإخلاص، لايمنع أبداً الحذر واليقظة/ ١٢٩)..

زوجها الملك لم يكابد بل هو سعيد بهذا الجاه الروماني الذي اسبغته عليه روما. لكن زنوبيا كانت تتوجع وترفض مايردده كورنيليوس: معلمها/ ملقنها: أنها صارت رومانية (بفضل رعاية المرسوم الذي أصدره الإمبراطور السوري (كركلاّ) مانحاً فيه حق المواطنة لكل قاطن في حدود الامبراطورية).. لكن زنوبيا.. زنيب أو زبيداء كما تسميها مربيتها (مباركة) فترفض هذه الاكذوبة الرومانية وبشهادتها (أنا أبقى عربية في نظر القواد الرومانيين الذين يتباهون بسيوفهم الطويلة تحت أبوابنا، وبالرغم من الألقاب التي يحملها والدي، فإننا نظل في أعينهم برابرة../ ٢٠ برنار

سيمنيوث).. وستكون زبيداء.. زينب.. ضمن الرصد الروماني، وستقدم لها روما رسالة دمائية: فمن يتقرب ويعين زنوبيا مصيره محسوم بالدم. مهما كانت منزلة الشخص. ما أن استقدمت الفيلسوف كاسيوس وجعلته مستثارا لها، حتى أمر القيصر أورليان بقتله فهو متهم بتحرض الملكة على الرومان وسيقتل مؤرخ روماني يدعى كليكراتس الصوري نلاحظ أن الرومان اخذوا يرتعدون من تسنمها عرش الحكم من خلال وصايتها على ولدها الملك الصغير. وسبب عداء الرومان لها: هو توجسهم من تقربها إلى العرب ثم اعتمادها عليهم في القتال والحروب.. فمن خلال حياتها ووعيها الثقافي وهي قارئة نهمة للحضارات والأدب.. أن أعداء تدمر هم الرومان الذين لا يفكرون خارج اطماعهم واستعمال التدامرة سيوفا وصهيلا ضد أعداء الامبراطورية الرومانية.. وفي هذا السياق يقارن الثوري ميخائيل باكونين بين الحضارتين: اليونانية والرومانية، فينحاز للحضارة اليونانية والسبب هو كالتالي (اسم الحضارة اليونانية هو تحرير الإنسان من العبودية. واسم الحضارة الرومانية؟ الفتح، بكل نتائجها الوحشية. هي كلمة أخيرة؟ كل قوى القياصرة والتي تعني الحظ واستعباد الأمم والبشر كلهم / ٦٤/ ميخائيل باكونين/ الإله والدولة)..

(*)

لذا قررت زنوبيا أن تؤسس دولة عربية متماسكة اعتماداً على

الاعراب بقوتهم. فجهزت جيشا وجعلت (زبّاي) قائد الجيش فتوجّه لمصر واحتلها بجيشه العربي. استعملت الكلمات سلاحا لا يرحم فلقبت نفسها (أوغست) وكان هذا اللقب وقفاً على الامبراطور الروماني ولم تر ذلك كافيا فحررت الاقتصاد التدمري وسكت النقود فيها صورة ولدها (وهب اللاهت) متوجاً بأكليل ذي الأشعة وهو رمز الأباطرة، ولم تكتفي فقد سكت نقودا باسمها هي زنوبيا!!

أرجوحة الكرسي

تُرى مثل هكذا تهور نسوي ماذا كانت تنتظر زنوبيا ملكة تدمر؟

في ٢٧٢ ميلادي أفلت شمس زنوبيا ملكة تدمر، توارت زنوبيا من اليومي ومن أرجوحة السلطة التي بقدر ما ترتفع تنخفض.. بتأن هبطت: تفتحت أمامها بوابة من الازورد الذي لايخفت وانتظمت في مسبحة خرزاتها من النساء الخالدات اللواتي يضئن طرقا ومنعطفات ويتشكلن مصابيح تفضح ليل العالم المستبد بذكوريته.

من نسوية المصابيح يتقدم ويتعطر ويتأنق ويتجمل ليتعافى العالم مكتملا بتأنيثه.

قروض معرفية

(١) فاطمة المرنيسي/ سلطانات منسيات / ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل / المركز الثقافي العربي/ بيروت/ ط٢/ ٢٠٠٦

(٢) ف المرنيسي/ ما وراء الحجاب- الجنس كهندسة اجتماعية / ت. فاطمة الزهراء أزرويل/ المركز الثقافي العربي/ بيروت/ ط٤/ ٢٠٠٥

(٣) د. رجاء بن سلامة/ نقد الثوابت/ آراء في العنف والتمييز والمصادرة/ دار الطليعة/ بيروت/ ط٢/ ٢٠١١

(٤) د. أمينة غصن/ حداثة بلا جذور/ دارالفارابي/ بيروت/ ط١/ ٢٠٠٤

(٥) د.أمينة غصن/ نقد المسكوت عنه في خطاب المرأة والجسد والثقافة/ دار المدى/ دمشق/ ٢٠٠٢

(٦) يسرى مقدّم/ الحريم اللغوي/ شركة المطبوعات للتوزيع والنشر/ بيروت/ ط١/ ٢٠١٠

(٧) يسرى مقدّم/ مؤنث الرواية: الذات،الصورة، الكتابة/ دار الجديد/ بيروت/ط١/ ٢٠٠٥

(٨) سالمة الموشي/ الحريم الثقافي بين الثابت والمتحول/ دار نينوى/ ط٢/ دمشق

(٩) جمانة حدّاد/ هكذا قتلت شهرزاد/ اعترافات امرأة عربية غاضبة/ دار الساقي/ بيروت/ط١/ ٢٠١٢

(١٠) زليخة أبو ريشة/ اللغة الغائبة / نحو لغة غير جنسوية/ دار نينوى/ ط١/ ٢٠١٤

(١١) نزهة براضة/ الأنوثة في فكر ابن عربي/ دار الساقي/ بيروت/ط١/ ٢٠٠٨

(١٢) بول بوزون/ الحريم الفرويدي/ ترجمة د.ثائر ديب/ دار السوسن/ دمشق/ط٢/ ٢٠٠٧

(١٣) بتي دي شونك/ صلوات إنهيدوانا/ ترجمة كامل جابر/ منشورات دار الجمل/ط١/ بيروت

(١٤) ليندا جين شيفرة/ أنثوية العلم/ ترجمة د.يمنى طريف الخولي/ عالم المعرفة/ الكويت/ ع ٣٠٦/ آب/ ٢٠٠٥

(١٥) مي محمد الخليفة/ من سواد الكوفة إلى البحرين(القرامطة من فكرة إلى دولة) /المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ بيروت/ ط١/ ١٩٩٩

(١٦) دوريس لسنج/ سجون نختار أن نحيا فيها/ ترجمة سهير صبري/المركز القومي للترجمة/ القاهرة/ ط١/ ٢٠١٩

(١٧) مينيكة شيبر/ تلال الفردوس/ تاريخ الجسد الأنثوي بين السلطة والعجز/ ترجمة: عبد الرحيم يوسف.

(١٨) بينارايلكار كان/ المرأة والجنسانية في المجتمعات الإسلامية/ ترجمة معين الإمام/ دار المدى/ دمشق/ ط١/ ٢٠٠٤

(٢٠) آمال قرامي/ النساء والمعرفة والسلطة/ مؤلف جماعي تحت إشراف آمال قرامي/مسكلياني/ تونس العاصمة/ ط١/ ٢٠١٩

(٢١) هانا روزن/(هل عفا الزمن على الرجال): مناظرة رباعية/ مراجعة وتقديم: رقية طارق. ترجمة: شهد هادي.

(٢٢) هادي العلوي/ فصول عن المرأة/ دار المدى/ بغداد/ ط٤

(٢٣) د. محمد الدروبي/ الكونفورميا وأنظمة الوعي/ دار كنعان/ دمشق/ ط١/ ٢٠٠٤

(٢٤) نبيل فياض/ تاريخ الملائكة/ دار أبكالو/ ألمانيا – ميونخ/ ط١/ ٢٠١٩

(٢٥) سامي مهدي/ ألف ليلة وليلة: كتاب عراقي أصيل/ دار ميزوبوتاميا/ بغداد/ ط١/٢٠١٤

(٢٦) سامي مهدي/ نظرات جديدة في أدب العراق القديم/ دار ميزوبوتاميا/ بغداد/ ط٢/ ٢٠١٥

(٢٧) ناجح المعموري/ التوراة وطقوس الجنس المقدس/ المدى/ بغداد/ ط١/ ٢٠١٦

(٢٨) مروان العلان/ المرأة في الإسلام المرأة بعده/ مؤسسة الانتشار العربي/ بيروت/ ط١/ ٢٠١٢

(٢٩) ن.ج. بيريل / الجنس وطبيعة الأشياء/ دار الك

(٣٠) الجنس عند العرب –٣–/ نصوص مختارة/ منشورات الجمل/كولونيا/ ألمانيا/ ط٢/ ٢٠٠٦

(٣١) د.أسامة عدنان يحيى/ عالم الأموات: أسرار العلاقة بين

الموتى والأحياء/ دار آشور/ بغداد/ شارع المتنبي/ ط١/ ٢٠١٩
(٣٢) طه باقر وفؤاد سفر/ المرشد إلى موطن الآثار والحضارة/ ج١ -٢-٣/ أصدرته مديرية الفنون والثقافة الشعبية بوزارة الارشاد/ بغداد/ ١٩٦٢
(٣٣) طه باقر/ مقدمة في أدب العراق القديم/ شركة بيت الوراق/ ط١/ ٢٠١٩
(٣٤) طه باقر/ مقدمة تاريخ الحضارات القديمة/ دار الوراق/ بيروت/ ط٣/ ٢٠١٧
(٣٥) صمويل كريمر/ من ألواح سومر/ ترجمة طه باقر/ تقديم ومراجعة د. أحمد فخري
(٣٦) محمد الحداد/ الإسلام: نزوات العنف واستراتيجيات الاصلاح/ دارالطليعة/ بيروت/ ط١/ ٢٠٠٦
(٣٧) رحال بوبريك/ بركة النساء/أفريقيا الشرق/ ط١/ الدار البيضاء/ ٢٠١٠
(٣٨) داج أوستين اندشو/ الجنس والدين/ التعاليم والمحظورات في تاريخ الاديان/ ترجمة: مرضى زنباع/دار صفصافة/ الجيزة/ ط١/ ٢٠٢٠
(٣٩) فراس السواح/ لغز عشتار- الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة/ دار التكوين/ دمشق/ط٥/ ٢٠١٧
(٤٠) سعيد الغانمي/ فاعليّة الخيال الأدبي/ محاولة في بلاغة المعرفة من الأسطورة حتى العلم الوصفي/ منشورات الجمل/ بغداد/ ط١/ ٢٠١٥

(٤١) كليفورد هوارد/ عبادة الجنس- شرح لأصل أديان عبادة القضيب/ ترجمة: حكيم ميلادي/ المعقدين للنشر والتوزيع/ البصرة – شارع الفراهيدي/ طُبع في لبنان ٢٠١٦

(٤٢) فالح مهدي/ نقد العقل الدائري- الخضوع السني والإحباط الشيعي/ مكتبة النهضة العربية/ بغداد/ ط١/ ٢٠١٩

(٤٣) رجب شانتورك/ البنية الاجتماعية السردية- تشريح شبكة رواية الحديث النبوي

(٦١٠- ١٥٠٥م) ترجمة د. صابر الحباشة/ جسور للترجمة والنشر/بيروت/ ط١/ ٢٠١٨

(٤٤) سعيد ناشيد/ الاختيار العلماني وأسطورة النّموذج/ دارالطليعة / بيروت/ ط١/ ٢٠١٠

(٤٥) د. روبرت.ج. بريدوود/ ترجمة كمال الملاخ/ مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر/ القاهرة – نيويورك- يونيه سنة ١٩٧٠

(٤٦) د. حسن حنفي/ الواقع الراهن/ دار العين للنشر/ القاهرة/ط١/ ٢٠١٢

(٤٧) د. وليد الجابر/ الحرف، والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر/ دار الأديب البغدادية/ ساعدت جامعة بغداد على طبعه/ ١٩٧٢

(٤٨) البرفسور عدنان حب الله / التحليل النفسي للرجولة والانوثة من فرويد إلى لاكان/ دار الفارابي/ بيروت/ ط١/ ٢٠٠٤

(٤٩) فريدريك إنجلس/ أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة/

ترجمة إلياس شاهين/ دارالتقدم/ موسكو/ ١٩٦٨

(٥٠) أثر الريشة / مؤامرة أغتيال رمسيس الثالث/ ترجمها عن الهيروغليفية/ العالم الآثاري أحمد عبد الحميد يوسف/ بيت الياسمين/ القاهرة/ ط١/ ٢٠١٩

(٥١) الدكتور كاظم حبيب/ لمحات من عراق القرن العشرين/ الكتاب الثالث/ دار أراس للطباعة والنشر/ أربيل – أقليم كردستان العراق/ط١/ ٢٠١٣

(٥٢) أوما ناريان وساندرا هارد نغ/ نقض مركزية المركز/ ترجمة د. يمنى طريف الخولي/ عالم المعرفة/ الكويت/ ٢٠١٣/ ع يناير ٣٩٦

(٥٣) سعيد الغانمي/ خزانة الأدب/ المركز الثقافي العربي/ بيروت/ط١/ ٢٠٠٤

(٥٤) شرف الدين ماجدولين/ بيان شهرزاد/ التشكلات النوعية لصور الليالي

(٥٥) يوسف زيدان/ اللاهوت العربي وأصول العنف الديني/ دار الشروق/ط١/ ٢٠٠٩

(٥٦) علي مبروك/ أفكار مؤثمة/ من الاهوتي إلى الإنساني/ مصر العربية للنشر/ ط١/ ٢٠١٥

(٥٧) فرنيسي فيفر/ الفرعون الأخير رمسيس الثالث أو زوال حضارة عريقة/ ترجمة فاطمة الهلول/ دار الحصاد/ القاهرة/ لا يوجد تاريخ الطبع

(٥٨) ياسين الحاج صالح/ أساطير الآخرين/ نقد الإسلام المعاصر

ونقد نقده/ دار الساقي/ ٢٠١١
(٥٩) مي غصوب وإيما سنكليرويب/ الرجولة المتخيلة/ الهوية الذكرية والثقافة في الشرق الاوسط الحديث/ دار الساقي/ط١/ بيروت
(٦٠) ذكرياتي/ يوميات تاج السلطنة/ ابنة ناصر الدين شاه القاجاري/ دارالسويدي للنشر والتوزيع/ منشورات المتوسط / إيطاليا
(٦١) هند بنت محمد التركي/ مملكة قيدار/ دراسة في التاريخ السياسي والحضاري/ مكتبة الملك فهد/ ط١/ الرياض/ ٢٠١١
(٦٢) برنار سيميونيت / الأوراق السرية للملكة زنوبيا/ ترجمة هيثم سرية/ دار دمشق للطباعة/ ط١/ ٢٠٠٠
(٦٤) علي القيّم/ المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة/ دار الأهالي/ دمشق / ط٢/ ١٩٩٦
(٦٥) ميخائيل باكونين / الإله والدولة/ ترجمة: عبد اللطيف الصدّيقي/ دار التكوين/ دمشق/ ط١/ ٢٠١٧

بحوث

(١) ميادة كيّالي/ مكانة المرأة في بلاد وادي الرافدين وعصور ماقبل التاريخ/ مؤمنون بلا حدود/ الدراسات والابحاث / ٢٠١٦
(٢) هتون أجواد/ ملكات العرب في الألف الأول قبل الفترة المعاصرة/ مجلة الخليج للتاريخ والآثار/ العدد السابع / ٢٠١١
(٣) صلاح سليم علي/ مدونة: سيدة القصر/ ملكات العراق بين الأسطورة والواقع

(٤) فؤاد يوسف قزانجي/ الملكة ماوية / موقع بوابة عشتار

(٥) سامح المحاريق: الملكة ماوية: نموذج للرؤية الاستراتيجية/ صحيفة الرأي الآردنية ٢٦/ ٧/ ٢٠١٢

مقداد مسعود من خلال أشجاره

١٩٥٤ بصرة المعتزلة والزنج

يعمل في صحيفة طريق الشعب منذ ١٩٧٥

من المؤسسين لصحيفة الحقيقة ٢٠٠٣

من المؤسسين لملتقى جيكور الثقافي في البصرة

مسؤول القسم الثقافي في أذاعة الملتقى ٢٠٠٨

سكرتير تحرير مجلة فنارات/ تصدر من اتحاد أدباء البصرة ٢٠٠٩

مشارك دائم منذ ربيع ٢٠٠٣ في مهرجان المربد الشعري

شارك في الندوة التي وجهتها له مجلة الطريق اللبناني في أربعينية الناقد محمد إبراهيم دكروب وكانت ورقته(أيدلوجية القص)

احتفت بمنجزه الإبداعي مؤسسة مركز النور للثقافة والإعلام في ٢٠١٧

له عمود صحفي أسبوعي في طريق الشعب (مسح ضوئي)

بالتشارك مع الإعلامي عمار السعد، عرضت فضائية الشرقية (السياب شاعر النهر النحيل) أربع حلقات في ٢٠١٤

مشارك نقديا الحلقة الخاصة بالروائي فوّاز حدّاد، بخصوص روايته (السوريون الأعداء) من خلال فضائية الجزيرة في أيلول ٢٠٢٠

بعض قصائده قام بترجمتها إلى اللغة الانكليزية: ياسين طه حافظ وسعيد الغانمي وسهيل نجم. مجموعته الشعرية (زهرة الرمان) إلى اللغة الفرنسية: بقلم جاسم محمد العزاوي

له في الشعر

المغيّب المضيء/ دار الرواد/ بغداد/ ٢٠٠٨

زهرة الرمان/ دار الينابيع/ دمشق/ ٢٠٠٩

الزجاج وما يدور في فلكه / دار الشؤون الثقافية/ بغداد/ ٢٠٠٩

بصفيري اضيء الظلمة واستدلُ على فراشتي/ دارالينابيع/ ٢٠١٠

شمس النارنج/ دمشق/ دار الجفال/ ٢٠١١

حافة كوب أزرق/ دار ضفاف/ دولة الامارات المتحدة/ ٢٠١٠

ما يختصره الكحل يتوسع فيه الزبيب/ دار ضفاف/ ٢٠١٢

جياد من ريش نسور/ دار ضفاف/ ٢٠١٣

يدي تنسى كثيرا / دار ضفاف/ ٢٠١٤

هدوء الفضة/ دار ضفاف/ ٢٠١٤

أرباض/ ضفاف/ ٢٠١٨

الأحد الأوّل / دار ضفاف / ٢٠١٨

قسيب /دارالرافدين / بيروت والمكتبة الأهلية في البصرة / ٢٠١٩

قلالي/ دار الرافدين/ بيروت والمكتبة الأهلية في البصرة/ ٢٠١٩

في النقد

الأذن العصية واللسان المقطوع/ قراءة اتصالية في السرد والشعر/ دار الينابيع/ دمشق / ٢٠١٩

القصيدة بصرة/ دار ضفاف/ قراءة اتصالية منتخبة من الشعر البصري/ دار ضفاف/ ٢٠١٢

من الأشرعة يتدفق النهر/ قراءة في الحداثة الشعرية العراقية/

الشؤون الثقافية/ بغداد/ ٢٠١٤
زيـادة معنـى العـالم/ نزهـات فـي شـجر المعرفـة/ دار ضـفاف / ٢٠١٤/ دولة الإمارات المتحدة